



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي بالأغواط

كلية الآداب واللغات

مذكرة لنيل شهادة الماجستير

قسم اللغة العربية والأدب العربي

تخصص : البلاغة الجديدة وتحليل الخطاب

القوة الإنجازية لحروف المعاني في كتاب الجنى الداني

إعداد الطالب: علي جريدان

الدكتور المشرف: البشير بديار

أعضاء لجنة المناقشة :

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. سليمان بن علي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الاغواط	رئيسا
د. بديار البشير	أستاذ التعليم العالي	جامعة الاغواط	مشرفا
د. عبد العليم بوفاتح	أستاذ التعليم العالي	جامعة الاغواط	مناقشا
د عبد السلام حفيظي	أستاذ محاضر-أ-	المدرسة العليا الأغواط	مناقشا

السنة الدراسية: 2020/2019

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى الوالدين الكريمين

ـ أظال الله عمرهما ـ

وإلى الأسرة الفاضلة

وإلى كل من علمني حرفا

شكر و عرفان

أتوجه بالشكر الخالص إلى أستاذي المشرف الدكتور البشير بديار

ر جزاه الله خيرا

وإلى أستاذي الدكتور مسعود صحراوي

ر أطال الله في عمره و نفع به

وإلى كل أساتذة اللغة العربية بجامعة عمار ثلجي.

المقدمة:

تعتبر حروف المعاني بابا واسعا من أبواب اللغة العربية ، وقد اعتنى العلماء قديما وحديثا بهذا الباب وصرقوا إليه الهمم فألّفوا فيه الرسائل والكتب ، ومن بين أهم تلك الكتب التي اعتنت بحروف المعاني كتاب **الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي** المعروف بابن أم قاسم المرادي، والذي سمّى كتابه بـ " **الجنى الداني في حروف المعاني** " .

وقد خصّص المرادي كتابه كاملا لدراسة حروف المعاني ، وبيّن معاني كلّ حرف على حدة، تلك المعاني التي تعتبر في نظر التداولية قوًى إنجازية تؤثر في العالم وتحدث فيه تغييرا، وتجعل من الكلام أحداثا وليس مجرد وسيلة تواصل كما يعتقد بعضهم .

وقد تناولنا في بحثنا هذا تلك القوى الإنجازية التي وضعها المرادي لحروف المعاني وبيّنا كيف يفعل الكلام بالمخاطبين وماذا يحدث فيهم من أثر وتغيير، إذ أنّ للكلام فعل قولٍ ، وفاعلا متضمّنا في القول ، وفعلا ناتجا عن القول، وتشكّل هذه الأفعال الثلاثة الفعل الكلامي الكامل كما تصوّره أوستين، وقد أصبح هذا الفعل الكلامي نواة مركزية في كثير من الأعمال التداولية ، وفحواه - عند أستاذنا مسعود صحراوي - أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري. فضلا عن ذلك يعدّ نشاطا ماديا نحويا يتوسّل بأفعال قولية إلى تحقيق أغراض إنجازية (كالطلب والأمر والوعد والوعيد ..) وغايات تأثيرية تخصّ ردود فعل المتلقّي (كالرفض والقبول) . ومن ثمّ فهو فعل يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا ومؤسستيا، ومن ثمّ إنجاز شيء ما .

وكانت الإشكالية التي دفعتنا للبحث كالتالي:

ما هي القوى الإنجازية التي يمكن أن تحملها حروف المعاني حسب ما حدّدها المرادي في كتابه الجنى الداني؟

وهدفنا المنشود في هذا البحث هو تبين مدى استيعاب الدرس العربي اللغوي القديم للدرس التداولي الحديث، مع التنبيه على الاختلاف في المصطلح والمنهج، فالمنهج

الذي استعمله العلماء قديماً قد يختلف عن المنهج التداولي المعروف حديثاً، لكنهما قد يوصلان إلى نفس النتائج.

وقد اعتمدنا في هذا العمل على بعض الدراسات السابقة التي تناولت أفعال الكلام في القرآن الكريم، وكان أكثر اعتمادنا على كتاب **التداولية عند العلماء العرب** لأستاذنا الدكتور مسعود صحراوي، والذي ختم كتابه بمبحث في أفعال الكلام في حروف المعاني، فكان بحثنا هذا كأنه ابتداء من حيث انتهى أستاذنا الفاضل في ذلك المبحث، ومن هنا تظهر صعوبة هذا العمل رغم ما يبدو عليه من البساطة.

ومما زاد هذا العمل صعوبة قلة أو انعدام الدراسات التي تناولت البحث في القوى الإنجازية بشكل خاص، فعملنا هذا يسلط الضوء على القوى الإنجازية وليس الأفعال الكلامية بشكل عام.

وقد اعتمدنا لعملنا هذا خطة ابتدأناها بمقدمة ثم فصلين، فصل نظري سلطنا فيه الضوء على أبرز المفاهيم التداولية التي تمت بصلة مباشرة إلى مفهوم القوى الإنجازية، أو التي تولدت عنها النظرية فكان لا بد من التعرّيج عليها.

فقد تولدت نظرية الأفعال الكلامية وما فيها من مفاهيم عن الفلسفة التحليلية والتي تعدّ خلفية معرفية لهذه النظرية لا بدّ من ذكرها ولا بدّ كذلك من ذكر جهود أوستين وسيرل، حيث أننا اعتمدنا تقسيم أوستين للفعل الكلامي الكامل ورافقنا في جميع الفصل التطبيقي.

ولم يفتنا في هذا الفصل أن نتعرّض لأهمّ ما ذكره اللغويون العرب قديماً حول حروف المعاني في مفهومها وعدتها وأقسامها وزيادتها وحذفها، كما ذكرنا أهم المصنفات التي درستها، وذلك لأجل أن تترسّخ بعض المفاهيم الأساسية لدينا ولدى القارئ، تلك المفاهيم التي ساعدتنا على معالجة فكرة هذا البحث والوصول إلى الهدف المنشود.

أمّا الفصل الثاني التطبيقي فهو فصل يعالج القوى الإنجازية في حروف المعاني كما سطرّها المرادي في كتابه، وقد اجتهدنا في النظر فيما ذكره هذا النحوي الجليل وحاولنا قدر المستطاع أن نحدد تلك القوى الإنجازية كما تصوّرها الدرس التداولي

الحديث معتمدين تقسيم أوستين للفعل الكلامي الكامل - كما تصوره هو - والذي ينقسم إلى ثلاثة أفعال، فعل القول، والفعل المتضمّن في القول ، والفعل الناتج عن القول، وكان كلامنا حول الفعل الناتج عن القول محض اجتهاد، لأنّ الأثر الناتج عن القول يكاد يكون ضرباً من الغيب بالنسبة لنا ، إلّا إذا اعتبرنا نحوه قصد المتكلم وما يفيد الكلام عموماً وبغض النظر عما يحدث في الواقع، فسدّدنا وقاربنا حوله.

أمّا الخاتمة فقد سطرنا فيها رأينا حول هذه النظرية، والتي كانت كنتيجة لهذا البحث المتواضع حول هذه النظرية العريضة، والله نسأل العفو والقبول.

الفصل الأول

الفلسفة التحليلية والفكر التداولي :

شهد العالم مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تقدماً علمياً كبيراً، أفرزته العلوم الرياضية والعلوم العامة، وقد أثر هذا في الاتجاهات الفلسفية تأثيراً بالغاً فتح آفاقاً جديدة بسبب "التحليل" الذي غدا سمة بارزة في كل ذلك، وقد أدى كل ذلك بالمفكرين المحدثين إلى تجاوز الاتجاه الميتافيزيقي ومن هنا كان الطابع الأساسي للفلسفة المعاصرة هو الطابع التحليلي الواقعي المتناسق مع روح العصر الرياضية .

لقد تجاوز المفكرون المحدثون الاتجاه الميتافيزيقي بسبب ما يعرف بالتحليل، الذي أفرزته العلوم الرياضية نهاية القرن التاسع عشر، ومن هنا كان الطابع الأساسي للفلسفة المعاصرة ، وهو الطابع التحليلي المتناسق مع روح العصر الرياضية.

وفي تلك الفترة ثار الفلاسفة على الاتجاهات السائدة مثل الاتجاه المثالي الميتافيزيقي، مرتكزين على الطابع المادي والواقعي في التعامل مع الظواهر ضمن ما يسمى بالفلسفة التحليلية.¹

¹- ينظر : مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار التنوير، الطبعة الأولى

الفلسفة التحليلية:

نشأت الفلسفة التحليلية بمفهومها العلمي الصارم في العقد الثاني من القرن العشرين في "فيينا" بالنمسا على يد الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجه بكتابه "أسس علم الحساب"¹.

ومصطلح "التحليل" قد استخدم عند الفلاسفة اليونانيين، لكنه لم يستخدم منها علمياً إلا في القرن العشرين.

وتعني كلمة تحليل في اللغة " الفك والفتح " فيقال : حلّ وحلّل العقدة أي فتحها فانحلّت، أي حلّ وفكّ كل ما هو مركب في أجزائه"².

أمّا كلمة " تحليل" فلسفياً فتعني ردّ الموضوع إلى مصادره وعناصره الأولى سواء كان ذلك الموضوع فكرة أو قضية أو عبارة من عبارات اللغة ، والغرض من هذا هو : " تقليل درجة الغموض في المركبات بتوجيه الانتباه إلى الأجزاء المتعددة التي تتركب منها"³.

والتحليل الفلسفي للغة يوصل إلى تحليل فلسفي للفكر. وتفسير الفكر كفيل بإيصالنا إلى الفهم العميق للكون.

¹ - ينظر : مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 27.

² - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد 11 ، ط 3، 1994 م، مادة حلل.

³ - ناصر ابراهيم، فلسفات التربية، دار وائل، عمان، ط 2 ، 2004، ص 191.

اتجاهات الفلسفة التحليلية: تمثلت هذه الاتجاهات في ثلاثة فروع كبرى هي :

- الوضعانية المنطقية بزعامة رودولف كارناب
- الظاهراتية اللغوية بزعامة هوسرل
- فلسفة اللغة العادية بزعامة فينغشتاين.

1- الوضعانية المنطقية:

وأبرز روادها رودولف كارناب، وهو عضو فعال في حلقة "فيينا"، وقد دعا إلى تحليل اللغة تحليلاً منطقياً، ولكنه لاحظ أن اللغة الطبيعية (العادية) تسيء إلى الواقع لاتصافها بالاعتباطية والغموض وحتى التناقض في بعض الأحيان، لذلك لا بد من استبدالها بلغة منطقية صارمة تتسم بالصرامة والمنطقية والدقة وهي في رأيه من مفتقدات اللغة الطبيعية. فاهتمت هذه الفلسفة باللغات الصورية المصطنعة واتخذتها بديلاً عن اللغات الطبيعية لأنها أداة غير ملائمة تشوش الضبط وتنتج عبارات ميتافيزيقية تصيب العلاقة بين الواقع والعلم بالاختلال.¹

2- الظاهراتية اللغوية:

تساءلت هذه الفلسفة عن بداية الحدث اللساني في أعماق الوجدان وهو ما سماه "سوسير": "المرحلة السدمية". وهي مرحلة ذهنية ما قبل وجودية، وهي في غاية التجريد ولا علاقة لها بالاستعمال اللغوي ولا بظروف استخدام اللغة، ولا بأحوال أطراف الحوار، ولا بملايسات التواصل ولا بأغراض المتكلمين.²

3- فلسفة اللغة العادية:

أسسها الفيلسوف "لوديف فينغشتاين" والمادة الأساسية للفلسفة عند "فينغشتاين" هي اللغة. وقد رأى أن جميع مشكلات الفلسفة تحل باللغة. فاللغة هي المفتاح السري الذي يفتح مغاليق الفلسفة، ولا يكون البحث الفلسفي مجدياً إلا إذا اتخذ اللغة موضوعاً للدراسة الفلسفية.

¹ - ينظر: محمد غالم، النظرية السانية والدلالة العربية، دار توبقال للنشر، البار البيضاء، 2007، ص 39.

² - ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 33.

وراح " فتغنشتاين " يطور فلسفته الجديدة التي توصي بمرعاة الجانب الاستعمالي في اللغة ، فالاستعمال هو الذي يكسب تعليم اللغة واستعمالها.

وقد تبنى فلاسفة "أكسفورد" هذه الفلسفة فأكسبوها مكانة كبيرة وأبرز هؤلاء الفلاسفة هما الفيلسوفان : أوستين : في كتابه عندما يكون القول هو الفعل .

سيرل : في دراسته للقوى المتضمنة في القول .

جهود أوستين وسيرل:

ألقى أوستين سلسلة من المحاضرات في جامعة أوكسفورد ما بين عامي 1952 و 1954 . وقد أسست هذه المحاضرات لنظرية "أفعال الكلام" والتي تعرف أيضا بنظرية الحدث الكلامي أو الحدث اللغوي أو النظرية الإنجازية، والتي هي جزء من اللسانيات التداولية.

كما ألقى "أوستين" مجموعة أخرى من المحاضرات في جامعة "هارفارد" عام 1955 وقد جمعت هذه المحاضرات بعد وفاته عام 1962 م وعنوانت بـ : كيف ننجز الأفعال بالكلمات " how to do things with words "

ويلخص فكر أوستين في نقطتين أساسيتين:

أ – رفض ثنائية الصدق والكذب.

ب – الإقرار بأن كل قول هو عبارة عن فعل أو عمل.¹

تصدى أوستين للرد على فلاسفة الوضعية المنطقية الذين كانوا يرون اللغة أداة رمزية لها مقابل في الوجود الخارجي ولا وظيفة لها إلا وصف هذا العالم الخارجي بطريقة إخبارية، ثم يكون الحكم بعد ذلك على العبارة المستعملة بالصدق أو الكذب حسب مطابقتها للواقع، وقد أنكروا العبارات غير الإخبارية، فهي عندهم لا معنى لها ومن ثم فلا يعتد بها، في حين ينكر "أوستين" أن تكون وظيفة العبارة الإخبارية هي وصف حال الواقع، وصفا يكون إما صادقا أو كاذبا، وسمى ذلك بالمغالطة الوصفية،

¹ - ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد بجاتان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 22.

إذ توجد حسب أوستين عبارات تشبه في التركيب العبارات الوصفية ، ولكنها لا تصف شيئاً في العالم لخارجي، ولا تحتل الصدق أو الكذب، فإذا رأيت أن توصي ببعض مالك إلى جمعية رعاية اليتيم " فهذه العبارة لا تصف شيئاً من وقائع العالم الخارجي، ولا تحتل الصدق أو الكذب، فإنك إذا نطقت بها لا تلقي قولاً، بل تنجز فعلاً، فالقول هنا هو الفعل أو جزء منه، لأنك تنجز فعل التوصية بقولك "أوصي" فالقول في هذه العبارة ليس مجرد كلام، بل هو فعل كلام " ¹

لهذا ميّز أوستين بين نوعين من الأفعال :

- أفعال إخبارية أو تقريرية: constative/constatife

- أفعال أدائية إنشائية: performative /performatife

فالأفعال الإخبارية التقريرية هي الأفعال التي تخبر أو تصف الواقع الخارجي، ويحكم عليها بالصدق أو الكذب، أما الأفعال الأدائية الإنشائية فليس لها خصيصة الحكم عليها بالصدق أو الكذب ، لأنها تستخدم لإنجاز فعل، مثل قول : أرجو منك المعذرة، فهذا القول يعبر في الوقت نفسه عن طلب للمعذرة ورجاء، فالعبارة لا تخضع لمقياس الصدق أو الكذب، وإنما يحكم عليها بالنجاح والتوفيق والسعادة، إذا روعي فيها شروط الأداء وكان أهلاً لفعلها، وإذا لم يراع فيها الشروط قد يحكم عليها بالإخفاق. ²

شروط الملاءمة عند أوستين:

أطلق "أوستين" على الشروط التي تتحقق بها الأفعال الأدائية بشروط الملاءمة وحصرها في ثلاثة أنماط كل نمط منها يحتوي على شرطين وهي كالاتي :

أ/1- وجود إجراء عرفي مقبول، وله أثر عرفي محدد كالزواج مثلاً وأن يشتمل هذا الإجراء على كلمات محددة ينطق بها أشخاص محددون في ظروف محددة. فإذا لم يوجد إجراء عرفي مقبول ذو أثر معلوم كالزواج في الأفلام والتمثيلات، أو إذا لم

¹ - محمود أحمد نخلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ص 61-62.

² - ينظر : نفس المرجع، ص 63.

تنطق الكلمات على النحو الصحيح المفهوم الذي ينعقد به الإجراء، أو إذا كان الشخص الذي يتولى الإجراء فاقدا للأهلية للقيام به، أو إذا كانت الظروف غير ملائمة فإن الفعل لا يؤدي.

أ/2- ينبغي أن يكون أولئك الأشخاص مناسبين لهذا الإجراء المحدد وأن تكون الظروف مناسبة، فإذا طلب منك مثلا أن تختار شخصا ليساعدك في بحث ميداني مثلا فاخترت شخصا غير مناسب لهذه المهمة، فإن الفعل لم يؤدي.

ب/1- ينبغي أن يؤدي هذا الإجراء جميع المشاركين فيه أداء صحيحا، بالبعد عن استعمال العبارات الغامضة أو الملبسة، كأن تقول لرجل جاء ليشتري منك منزلا محددًا من منازلك أبيعك منزلا بمليون، أو أبيعك أحدها بمليون.

ب/2- ينبغي أن يؤدي هذا الإجراء جميع المشاركين فيه أداء كاملا فإذا قال رجل لآخر: أبيعك منزلي بمليون ولم يقل الرجل قبلت كان الأداء ناقصا.

ج/1- ولما كان هذا الإجراء يؤديه أشخاص من ذوو أفكار معينة ومشاعر فإن على المشارك فيه أن يكون لديه تلك الأفكار والمشاعر التي يتطلبها الإجراء، فإذا قلت لشخص: أهنئك بتلك المناسبة السعيدة، وأنت في قرار نفسك لا تشعر بذلك بل بنقيضه، أو إذا قلت لشخص أعدك بأن أساعدك وأنت تنوي أن لا تساعدك . أو إذا قلت لرجل: أنصحك بكذا وأنت تقصد تضليله، فقد أسأت أداء الفعل .

ج/2- على المشارك في الإجراء أن يوجه نفسه إلى ما يستتبعه ذلك من سلوك ظاهر، فإذا قلت لشخص: أرحب بك ثم سلكت معه بعد ذلك سلوك غير المرحب فقد أسأت أداء الفعل.

ثم بين أوستين أن الفرق الكبير بين الشروط الأربعة الأولى التي تضمنها النمطين " أ و ب " والشروطين الأخيرين اللذين تضمنتهما النمط " ج " يتمثل في أن الشروط الأربعة لازمة لأداء الفعل، فإذا لم يتحقق واحد منها فإن الفعل لا يؤدي، أما إذا لم يتحقق شرط من الشرطين الآخرين فإن الفعل يؤدي لكن يؤدي أداء سيئا، وقد أطلق أوستين على الأفعال التي خالفت الشروط الأربعة مصطلح " الإخفاقات "

misfires، وعلى ما خالف شرطاً من الشرطين الأخيرين مصطلح " الإساءات " abuses¹.

الفعل الكلامي عند أوستين:

الفعل الكلامي حجر أساس في اللسانيات التداولية، ويعود الفضل في بنائه إلى أوستين، والفعل الكلامي في أحد مفاهيمه هو (الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلاً بعينه " أمر، طلب، تصريح، وعد... " غايته تغيير حال المتخاطبين)². ويرى بنفست أن الفعل الكلامي (هو تحريك اللغة بواسطة فعل فردي استعمالياً)³.

وفحوى الفعل الكلامي عند الدكتور صحراوي مسعود (أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، فضلاً عن ذلك يعد نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل بأفعال قولية إلى تحقيق أغراض إنجازية (كالطلب، والأمر والوعد والوعيد..) وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول). ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلاً تأثيرياً أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في الخطاب، اجتماعي أو مؤسساتي، ومن ثم إنجاز شيء ما)⁴.

وهذا تعريف جامع مانع استوعب أقسام فعل القول التي نحن بصدد ذكرها.

رأى أوستين أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال تؤدي في الوقت نفسه الذي ينطق فيه بالفعل الكلامي ولا يمكن فصلها أو تجزئتها إلا من قبيل التفسير الإجرائي قصد الفهم والدراسة، وهذه الأفعال الثلاثة هي :

¹ - ينظر: محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص 64، 65.

² - دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد بيجان، دار العربية للعلوم، بيروت، 2008م، ص 07.

³ - كارتين أوركوي، فعل القول من الذاتية في اللغة، ترجمة محمد نطيق، أفريقيا الشرق، البار البيضاء، المغرب، ط، 2007، ص 40.

⁴ - صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص 54.

1 – فعل القول (أو الفعل اللغوي): **actelouctoire**

ويراد به (إطلاق الألفاظ في جملة مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة) ففعل القول يشتمل بالضرورة على أفعال لغوية فرعية، وهي المستويات اللسانية المعهودة:

- المستوى الصوتي : وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة ما.

- المستوى التركيبي : تأليف مفردات طبقاً لقواعد معينة.

- المستوى الدلالي : وهو توظيف هذه حسب معان وإحالات محددة.

وهذه المستويات عند أستين أفعال:

- الفعل الصوتي : وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة.

- الفعل التركيبي : يؤلف مفردات طبقاً لقواعد لغة معينة.

- الفعل الدلالي: هو توظيف هذه الأفعال حسب معان وإحالات محددة.

فقولنا مثلاً: إنها ستمطر. يمكن أن يفهم معنى الجملة، ومع ذلك لا ندري أهي : إخبار بـ"أنها ستمطر"، أم تحذير من عواقب الخروج في رحلة أم "أمر بحمل مظلة" أو غير ذلك... إلا بالرجوع إلى قرائن السياق لتحديد "قصد" المتكلم أو "غرضه" من الكلام.¹

ب- الفعل المتضمن في القول: **acteillocutoire**

في مقابل ما رأينا في فعل القول من اشتماله على قواعد النحو وتحديده المعنى المشار إليه، فإن الفعل المتضمن في القول يشتمل على أمر زائد هو "القوة" "force" التي للقول، فيقال للجملة: (إنها ستمطر) في موضع ما أن لها قوة الخبر، وفي موضع آخر أن قوة التحذير، وفي غيره أن قوة

¹- مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص56.55.

الأمر... الخ وعلى أساس اكتشاف هذا الأمر الزائد اقترح أوستين تسمية النظرية القائلة بتنوع وظائف اللغة نظرية "القوى المتضمنة في القول"¹

وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها، ولذا اقترح أوستين تسمية الوظائف اللسانية الثانوية خلف هذه الأفعال بـ : **القوى الإنجازية**، و من أمثلة ذلك السؤال، إجابة السؤال، إصدار تأكيد أو تحذير وعد، أمر، شهادة في محكمة... فالفرق بين "فعل القول" و "الفعل المتضمن في القول" هو أن الثاني قيام بفعل ضمن قول شيء، في مقابل الأول الذي هو مجرد قول شيء.²

3 – الفعل الناتج عن القول:

وأخيرا يرى أوستين أنه مع القيام القول، وما يصحبه من فعل متضمن في القول (القوة) فقد يكون الفاعل (الشخص المتكلم) قائما بفعل ثالث هو التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر، ومن أمثلة تلك الآثار: الإقناع، التضليل، الإرشاد، التثبيط... وسماه أوستين: الفعل الناتج عن القول، وسماه بعضهم "الفعل التأثيري"³ أو الفعل بواسطة القول.

كما يرى أوستين أن التقسيم الأول للجملة ذات الصيغة الخبرية إلى وصفية وإنشائية يجب أن يعطي محله لنظرية شاملة في الأفعال الكلامية، يكون التقسيم الأول بالنسبة إليها كالنظرية الخاصة بالنسبة إلى النظرية العامة⁴، أي أن التقسيم الثلاثي أشمل وأدق وأكثر استيعابا للكلام.

تقسيم أوستين للأفعال الكلامية:

قسم أوستين الأفعال الكلامية معتمدا منهاجا محددًا تمثل في : (أخذ ألفاظ الأفعال verbs ذات الصيغ المخصوصة التي تشتمل عليها الإنشائيات أي صيغة المضارع المعلوم للمتكلم المفرد، والرجوع إلى الفهم اللغوي الخالص"متمثلا بالقاموس

¹ - طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1994، ص 08.

² - مسعود صحراوي، التداولية...، ص 56.

³ - مسعود صحراوي، التداولية، ص 56 و 57.

⁴ - ينظر. طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص 09.

اللغوي" لفهم ما يراد منها بحسب القاعدة "أن يقال كذا يعني أن يفعل كذا". فدراسة أوستين للفعل act كانت عن طريق دراسة اللفظ اللغوي الموضوع لذلك الفعل والذي اصطلحنا عليه بـ " لفظ الفعل verb"¹

قسم أوستين الأفعال الكلامية تقسيما اعتبره تقسيما مبدئيا لأنه لم يرض عنه رضى تاما، وقد تمثل في خمسة أقسام : الحكميات – التنفيذات – الوعديات – السلوكيات - العرضيات.

1- **الحكميات** : وهي الصنف الأول المتمثل في الأحكام والقرارات القضائية الصادرة من محكمة أو أي طرف محكم حتى لو كان في الملعب، وقد يكون هذا الحكم واقعيًا أو قيمة². فالواقعي ما كان متعلقًا بحياة الناس الاجتماعية كالتجارة والإدارة... والقيمة ما كانت حكما على فكرة أو رأي ما بالصحة أو الخطأ.

2- **التنفيذيات** : وهي آثار الأحكام التي تصدر من القضاة أو المحكمين، التي تضطر الآخرين إلى القيام ببعض الأفعال أو عدم القيام بها، و يرى أوستين أن هذا الصنف واسع جدا، ومن أمثله : التعيين، الطرد، فرض غرامة، المنح، الإبطال، التسول...³

3- **الوعديات**: وهي أن يلتزم المتكلم بتصرف أو نشاط معين مثل: الوعد، التعهد، القسم، الرضى، المساندة، الاختيار...⁴

4- **السلوكيات**: وتتمثل في ردود الأفعال على سلوك الآخرين وعلى ما لاقوه من نجاح أو فشل، وتتضمن كذلك المواقف وضروب التعبير على أوضاع السلوك الماضية مما قام به الآخرون أو ما يحتمل أن يقع من تصرفاتهم ومن أمثلة هذا الصنف : الإعتذار، الشكر، التهئة، الترحيب...

¹ - ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص10.

² - ينظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة عبد القادر قنبي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د ط، 1991، ص 174.

³ - انظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص 178.

⁴ - أنظر: نفس المصدر، ص180.

5- **العرضيات** : ويستعمل هذا الصنف في أفعال طريقة العرض التي تقتضي أن نفسر بفضلها وجهات نظرنا وسوق حججنا، وتوضيح استعمالنا للألفاظ ، ومن أمثلة ذلك: (سأرجع إلى كذا). (أنكر هذا الشاهد) (أكرر القول بأن)، 'أشير إلى أن..'¹.

خصائص الفعل الكلامي عند أوستين:

الفعل الكلامي الكامل ليس فعلا بسيطا بل هو فعل مركب نوصائص متداخلة، إذ
"يلاحظ أوستين أنه توجد ثلاثة خصائص للفعل الكلامي الكامل:
- أنه فعل دالّ.

- أنه فعل إنجازي (أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات).

- أنه فعل تأثيري (أي يترك إثرا معينة في الواقع، خصوصا إذا كان فعلا ناجحا).

ويقوم كل فعل كلامي على مفهوم "القصدية"، وتقوم مسلمة القصدية على أسس تداولية درسها فلاسفة التحليل ثم توسع في تفريغها وتعميقها التداوليون حتى غدت شبكة من المفاهيم المترابطة، فقد غدت قيمة تداولية نصية/ حوارية ، وتعدّ مراعاة مفهومها العام وشبكته المفاهيمية من أبرز المفاتيح المنهجية في الدراسات اللسانية النصية.

ويتأكد الربط بين العبارة اللغوية ومراعاة مقاصد المتكلمين من خلال أعمال الفيلسوف سيرل الذي عمل على متابعة المشروع الفلسفي الذي بدأه أستاذه أوستين، فقد عدّ الغرض المتضمن في القول عنصرا ومكوّنا أساسيا من مكونات القوّة المتضمنة في القول "².

أفعال الكلام عند سيرل:

طوّر سيرل أفكار أوستين وأصبحت معه نظرية أفعال الكلام نظرية ناضجة ذات أسس منهجية متضحة المعالم ومن بين أفكاره:

¹- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ، ص 59.

² - نفس المصدر، ص 59 - 60.

- 1- يعد الفعل المتضمن في القول (الإنجازي) هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي.
 - 2- الفعل الكلامي لا يقتصر على مراد المتكلم بل يرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي.
 - 3- طور سيرل شروط الملاءمة التي تحدث عنها أوستين وجعلها أربعة شروط، وطبقها على الفعل الإنجازي تطبيقاً محكماً موجزاً على أنماط من الأفعال الإنجازية، فطبقها على أفعال الرجاء، والإخبار، والاستفهام والشكر والنصح والتحذير، والتحية والتهنئة، وبيّن ما قد يحتاجه كل منها إلى بعض شروط إضافية، وما يستغني منها عن بعض الشروط، ومثال ذلك على فعل الرجاء:
 - أ- شروط المحتوى القضوي : فعل في المستقبل مطلوب من المخاطب.
 - ب- الشرط التمهيدي : المخاطب قادر على إنجاز الفعل، والتكلم على يقين من قدرة المخاطب على إنجاز الفعل.
 - ليس من الواضح عند كل من المتكلم والمخاطب أن المخاطب سينجز الفعل المطلوب في المجرى المعتاد للأحداث.
 - ج - شرط الإخلاص : المتكلم يريد حقا من المخاطب أن ينجز هذا الفعل.
 - د - الشرط الأساسي : محاولة المتكلم التأثير في المخاطب لينجز الفعل.¹
- 4 - بعد ما لاحظ سيرل ما في تصنيف أوستين من الضعف أعاد النظر في تصنيف الأفعال الإنجازية، ومن ذلك الضعف أنها لم تقم على أساس واضح أو متين أو على مجموعة من الأسس، ولم يسلم منها فيما يرى إلا صنف واحد هو "الوعديات" فقد صنّفه "أوستين" على أساس منهجي واضح، وهو الغرض الإنجازي.
- فكان على سيرل أن يقدم تصنيفاً بديلاً للأفعال الإنجازية أحكم وأضبط، وقد اعتمد في ذلك على أسس منهجية ثلاثة وهي :

¹- ينظر : محمود نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 2002، ص74-75.

أ- الغرض الإنجازي illocutionary point

ب- اتجاه المطابقة direction of fit

ج- شرط الإخلاص sincerity condition

وكان تصنيف سيرل البديل خمسة أصناف:

1 - الإخباريات: assertives

والغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم لواقعة ما (بدرجات متفاوتة) من خلال قضية proposition يعبر بها عن هذه الواقعة ، وأفعال هذا الصنف كلها تحتل الصدق والكذب ، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم ، و يتضمن هذا الصنف معظم أفعال الإيضاح expositives عند أوستين و كثيرا من أفعال الأحكام verdictives.

2 - التوجيهيات : directives

و غرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب الى فعل شيء ما ، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات ، و شرط الإخلاص فيها يتمثل في الإرادة أو الرغبة الصادقة ، و المحتوى القضوي فيها هو دائما فعل السامع شيئا في المستقبل ويدخل في هذا الصنف الاستفهام ، و الأمر و الرجاء و الاستعطاف و التشجيع و الدعوة و الإذن و و النصح ، بل وكذلك التحدي الذي جعله أوستين في أفعال السلوك behabitives ، و كثير من أفعال القرارات exercitives عند أوستين تدخل في هذا الصنف و تعد من التوجيهيات .

3 - الالتزاميات : commissives

و غرضها الإنجازي هو التزام المتكلم (مرة أخرى بدرجات متفاوتة) بفعل شيء في المستقبل . واتجاه المطابقة في هذه الأفعال من العالم إلى الكلمات ، و شرط الإخلاص هو القصد intention ، و المحتوى القضوي فيها دائما فعل المتكلم شيئا في المستقبل ، على أن كثيرا مما عده أوستين من هذا الصنف لا يدخل فيه على الإطلاق .

وظاهر أن اتجاه المطابقة في الالتزاميات والتوجيهيات واحد ، فهل يسوّغ ذلك ضمّها في قسم واحد ؟ والجواب أن ذلك غير ممكن لسببين:

أحدهما أن المرجع في الالتزاميات هو المتكلم ، أما في التوجيهيات فهو المخاطب. والثاني أن المتكلم في الالتزاميات لا يحاول التأثير في السامع، وفي التوجيهيات يحاول التأثير فيه.

4 - التعبيرات : expressives

وغيرها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيراً يتوافر فيه شرط الإخلاص ، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة ، فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات ، وكل ما هو مطلوب هو الإخلاص في التعبير عن القضية، ويدخل في الصنف أفعال الشكر والتهنئة والاعتذار والتعزية والترحيب .

5 - الإعلانيات : declarations

والسمة المميزة لهذا الصنف من الأفعال أن أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي ، فإذا أديت أنا فعل تعيينك رئيساً للوفد أداء ناجحاً فأنت رئيس للوفد ، وإذا أديت فعل إعلان الحرب أداء ناجحاً، فالحرب معلنة وأهم ما يميز هذا الصنف من الأفعال عن الأفعال الأخرى أنها تحدث تغييراً في الوضع القائم ، فضلاً عن أنها تقتضي عرفاً غير لغوي ، واتجاه المطابقة في هذا الصنف قد يكون من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات ، ولا يحتاج إلى شرط الإخلاص¹.

¹ - محمود نخلة ، آفاق الدرس اللغوي الحديث، ص 78- 80 .

الأفعال الكلامية عند النحاة العرب :

لم يفصل النحاة العرب فصلا صارما بين الشكل البنيوي للجملة وبين مقامات و أحوال استعمالات الجملة كخطاب تواصلية ، ولم يفهموا من اللغة أنها منظومة من القواعد المجردة فحسب و إنما فهموا منها أنها لفظ معين ولذلك جعلوا من أهداف الدراسة النحوية إفادة المخاطب معنى الخطاب ، وإيصال رسالة إبلاغية إليه ، ولم يفصل جلّ النحاة القدامى بين المبني و المعنى في التحليل النحوي (الإعراب) ، بل كانوا يمارسون التحليل النحوي و لسان حالهم يقول ، كما عبر ابن هشام : متى يبني على ظاهر اللفظ ولم ينظر في موجب المعنى حصل الفساد ، و جعلوا من قواعدهم المقررة القاعدة التي تقول : الإعراب فرع المعنى¹ . وقد تعوّدوا من إعراب يفسد المعنى ، حيث قال المنتجب الهمداني : (نعوذ بالله من إعراب يؤدي إلى فساد المعنى)² ، وكل هذا يعني أنهم درسوا اللغة العربية دراسة وظيفية تداولية.

¹ - مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب، ص 217 و 218 .
- المنتجب الهمداني، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، تحقيق محمد نظام الدين قتيح ، دار الزمان ، المدينة المنورة، ط2006، ج 2 ، ص

حروف المعاني:

- معنى الحرف وعلّة تسميته حرفاً:

أولاً: معنى الحرف: " الحرف هو الطرف والجانب، وبه سمي الحرف من حروف الهجاء"¹ فالحرف هو "الطرف" ومنه قولهم: (حرف الجبل) أي طرفه، هو أعلاه المحدد.

والحرف هو الوجه الواحد، ومنه قوله تعالى: ((ومن الناس من يعبد الله على حرف)) أي على وجه واحد، وهو أن يعبد على السّراء دون الضّراء، أي يؤمن بالله مادامت حاله حسنة فإن غيرّها وامتحنه كفر به، وذلك لشكه وعدم طمأنينته.²

والحرف اللهجة اللغوية، ومنه: هذا حرف بني فلان، أي لهجتهم. والحرف الناقاة الضامرة المهزولة من شدة السير والمضي وتلك علامة لنجابتها تشبيها بحرف السيف.

والحرف كذلك إحدى القراءات المتواترة، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا منه ما تيسر).³

والحرف أحد حروف الهجاء الثمانية والعشرون المعروفة، ويطلق على ما يوصل معاني الأفعال إلى الأسماء وعلى ما يدل بنفسه على معنى في غيره.⁴ وهذا الحرف هو ما يعنينا في بحثنا هذا ، فالباء مثلاً في قولك: " مررت بزيد" حرف معنى دلالاته على الإلصاق بخلاف الباء في قولك: "بكر" فإنه لا يدل على معنى.

وكذلك قولك (باب من خشب) حرف معنى يدل على الجنس خلاف قولك، (منوال) فإن الميم والنون لا تدل على معنى.

¹- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج3، ص457، فصل الفاء، مادة ح ر ف.

²- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ص12.

³- صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض رقم (2419)

⁴- المرادي ، الجني الداني، ص24.

ثم أطلق لفظ الحرف بطريقة التغليب، لأن بعض حروف المعاني أسماء مثل: من وإذا ، لكن لما كان أكثرها حروفا سمي الجمع بهذا الاسم.¹
فالحروف تنقسم إلى قسمين:

أ – حروف المعاني :

وسميت بذلك لأنها توصل معاني الأفعال إلى الأسماء، إذ لو لم يكن (من و إلى) في قولك : خرجت من البصرة إلى الكوفة (لم يعلم ابتداء الخروف من انتهائه

وهذه الحروف قسيمة الأسماء والأفعال، وهي تجيء مع الأسماء والأفعال لمعان، وتكون عوضا عن جمل وتفيد معناها بأوجز لفظ فكل حروف المعاني تفيد فائدتها المعنوية مع الإيجاز والاختصار:

فحروف العطف جيء بها عوضا عن "أعطف".

وحروف الاستفهام جيء بها عوضا عن "أستفهم".

وحروف النفي جيء بها عوضا عن "أجدد أو أنفي".

وحروف الاستثناء جيء بها عوضا عن "أستثنى أو لا أقصد".

وكذلك لام التعريف نابت عن "أعرّف".

وحروف الجر جاءت لتتوب عن الأفعال التي بمعناها، فالباء نابت عن "ألصق" مثلا ، والكاف نابت عن "أشبهه" ، وكذلك سائر حروف المعاني.²

¹- النسفي حافظ الدين، كشف الأسرار، بولاق، ط 1، 1316 هـ ، ج1، ص 129.

²- معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، محمد ابراهيم عبادة ، مكتبة الآداب القاهرة، ط2011، ص 108-109.

ب - حروف المباني :

وهي حروف التهجي ، أعني حروف الهجاء الموضوعه لغرض التركيب لا للمعنى... وهذه الحروف تزداد في الكلم ويجعل المجموع دالا على المعنى المقصود، ومن هذه الحروف : ألف التثنية، واو الجماعة وباء النسبة، وتاء التأنيث، وألفا التأنيث¹.

ثانيا : علة تسمية حرفا :

اختلف اللغويون في علة تسميته حرفا، ف قيل سمّي بذلك لأنه طرف في الكلام وفضلة، والحرف في اللغة هو : " الطرف " ومنه قولهم : (حرف الجبل) أي طرفه، وهو أعلاه المحدد. فإن قيل : الحرف قد يقع حشوا نحو : مررت بزيد، فليست الباء في هذا بطرف ، فالجواب أن الحرف حارف في المعنى، لأنه لا يكون عمدة، وإن كان متوسطا .

وقيل : لأنه يأتي على وجه واحد، والحرف في اللغة هو الوجه الواحد ومنه قوله تعالى: ((ومن الناس من يعبد الله على حرف)) أي على وجه واحد، وهو أن يعبده على السراء دون الضراء، أي يؤمن بالله مادامت حاله حسنة، فإن غيرها وامتحنه كفر به ، وذلك لشكه وعدم طمأنينته، فإن قيل إنّ الحرف الواحد قد يرد لمعان كثيرة، فالجواب أن الأصل في الحرف أن يوضع لمعنى واحد، وقد يتوسع فيه، فيستعمل في غيره².

وهذا التوسع في معنى الحرف هو ما تسميه التداولية بالقوى الإنجازية غير المباشرة، وهذه المعاني التي تزيد في معنى الحروف يستدل عليها من سياق الكلام ومقامه.

وفي تعدد معاني الحرف الواحد أجاب بعضهم " بأن الاسم قد يدل في حالة واحدة على معنيين، مثل أن يكون فاعلا مفعولا في وقت واحد. كقولك رأيت ضارب زيد،

¹- محمود سعيد، حروف المعاني بين دقائق اللغة ولطائف الفعل، كلية الآداب بنها.

²- المرادي، الجن الداني، ص34،33.

"فضارب" زيد في هذه الحالة فاعل ومفعول والفعل أيضا يدل على معنيين : الحدث والزمن، والحرف إنما يدل في حالة واحدة على معنى واحد.

والظاهر أنه سمي حرفاً، لأنه طرف في الكلام، كما تقدم، وأما قوله تعالى : ((ومن الناس من يعبد الله على حرف)) فهو راجع إلى هذا المعنى، لأن الشاك كأنه على طرف من الاعتقاد، وناحية منه. وإلى ذلك ترجع معاني الحروف كلها، كقولهم للناقة الضامرة الصلبة : حرف ، تشبيهاً لها بحرف السيف، وقيل الضخمة، تشبيهاً لها بحرف الجبل، وكان الأصمعي يقول : الحرف الناقة المهزولة¹.

- الفرق بين حروف المعاني وحروف المباني :

من المعلوم أن الحروف نوعان : حروف المعاني وحروف المباني، فحرف المعنى هو "ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل وما سواه من الحدود فاسد"².

وعرّف كذلك بأنه "ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل نحو : ثم ، وسوف، واو القسم، ولام الإضافة، ونحوها"³ وكان الأخفش يقول: ما لم يحسن له الفعل والصفة ولا التنثية ولا الجمع، ولم يجز أن يتصرف، فهو حرف.

وقد أكثر أهل العربية في هذا، وأقرب ما فيه ما قاله سبويه إنه الذي يفيد المعنى ليس في اسم ولا فعل، نحو قولنا: زيد منطلق، ثم نقول : هل زيد منطلق؟، فأخذنا بـ "هل" ما لم يكن في "زيد" ولا "منطلق"⁴.

ويقول الزجاجي: "الحروف على ثلاثة أضرب :

حروف المعجم التي هي أصل مدار الألسن عريبتها وعجمها، وحروف الأسماء والأفعال.

¹- المرادي الجني الداني، ص 34،35.

²- الفيروز آبادي ، القاموس المحيط، تح : مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرتوسي، مؤسسة الرسالة، ط 8، 2005، ص : 799.

³- سبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، ط3، 1988، الخانجي القاهرة، ص12.

⁴- أحمد بن فارس، الصحاح في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1977، ص05.

والحروف التي هي أبعاضها نحو : العين من "جعفر" ، والضاد من "ضرب"
والنون من "أن" واللام من "لم".

وحروف المعاني التي تجيء مع الأسماء والأفعال لمعان، فأما حروف المعجم
فهي أصوات غير متوافقة، ولا مقترنة، ولا دالة على معنى من معاني الأسماء
والأفعال والحروف، إلا أنها أصل تركيبها.

وأما الحروف التي هي أبعاض الكلم، فالبعض حدّ منسوب إلى ما هو أكثر منه،
كما أن الكل منسوب إلى ما هو أصغر منه.

وأما حدّ حروف المعاني وهو الذي يلمسه النحويون، فهو أن يقال: الحرف مادل
على معنى في غيره، نحو: "من و" "إلى" و" ثم" وما أشبه ذلك، وشرحه أنّ "من"
تدخل في الكلام للتبويض، فهي تدل على تبويض غيرها لا على تبويضها نفسها،
كذلك إذا كانت لا بتداء الغاية، كانت غاية غيرها وكذلك سائر وجوهها. وكذلك
"إلى" تدل على المنتهى، فهي تدل على منتهى غيرها لا على منتهائها نفسها، وكذلك
سائر حروف المعاني.¹

فالحروف عند أبي القاسم الزجاجي ثلاثة أنواع :

- الحروف العامة المتولدة عن الألسن البشرية، والتي تشمل الحروف العربية وغير
العربية: كالراء والباء والفاء.

- والحروف المشكّلة للكلمات والتي يتولد بتركيبها على نحو ما كلمة ما مثل : الباء
المفتوحة في "بر".

- وحروف المعاني التي يشتغل بها النحويون لما فيها من معان متعددة تؤديها داخل
سياقات معينة، وتختلف هذه المعاني باختلاف السياقات كدلالة "من" على
"التبويض" في قولنا: شربت من ماء زمزم، ودالاتها على "الجنس" في قولنا: خاتم
من ذهب، ونحو ذلك.

¹- أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن مبارك، دار النفائس، بيروت ط 3، 1977، ص 54.

وقد قام ابن جني بدراسة حروف المعاني دراسة دقيقة شاملة في كتابه "سر صناعة الإعراب" وندرجت هذه الدراسة في إطار دراسته للأصوات دراسة لأجراسها وصفاتها العامة والمختلفة، كالهمس والجهر، والشدة، والرخاوة، والإطباق والانفتاح، والاستعلاء والاستفال، والغنة والتكرار وغيرها . ويعد كتابه "سر صناعة الإعراب" مادة غزيرة للدراسة الصوتية اللغوية لحروف المباني التسعة والعشرين، ففي باب "الباء" مثلاً يشير "ابن الجني" إلى أنها حرف "مجهور يكون فاء وعينا ولاما ، فالفاء نحو: "بئر" و "وبعث" والعين نحو: "صبر" و "شبع" ، واللام نحو : ضرب و "قرب" ولا تستعمل زائدة".¹

وقد ميز ابن جني بين حروف المعاني وحروف المباني، ورأى أن حروف المباني تكون مصوغة مع الكلمة أصلاً، أو زيادة، أو قلباً أو إعلالاً، وهي لا تعد حروف معنى على الإطلاق، لكن هناك عدداً من الحروف تكون حيناً حرف مبنى وأحياناً حرف معنى نحو : أزيد انهض، فالهمزة هنا للنداء، وفي قولنا: أسعيد عندك أم منير؟ فالهمزة هنا للاستفهام، وفي هذه الحالة تكون الهمزة حرف معنى. وقد تأتي حرف مبنى في قولنا : "سأل وأقام ونشأ" لأنها مصوغة مع الكلمة، والباء تكون من حروف المعاني إذا جاءت لمعنى في غيرها نحو : مررت بزيد. وهي هنا ليست حرف مبنى، بل هي حرف دال على الإلصاق، ولا تعد من حروف المعجم لكنها في كلمة "تعبت" تعد من أصل هذه الكلمة.²

وحروف المعاني الأحادية الوضع تشبه بصورتها حروف المباني وتكاد تكون هي من حيث الشكل وتختلف من حيث المعنى، أما حروف المعاني غير الأحادية ك: من و ألا و لولا... فلا تتوافق مع حروف المباني لا في الشكل ولا في المعنى، فالباء في : "بريد" تشبه من ناحية المبنى الباء في الشكل "بزيد" وتتغير معها في المعنى، تغايراً تاماً ، فالباء الأولى في "بريد" حرف معجم لا معنى له. بل تتركب مع غيرها لتشكل كلمة ذات معنى ، أما الباء الثانية في "بريد" والتي هي حرف جر، فتفيد معنى الإلصاق في كلمة "زيد".

¹- أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب ، تح: بحسن الهنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1985، ص 78.

²- المصدر نفسه، ص78.

وهناك حروف أحادية عدها بعض النحاة حروف معان، وقال عنها آخرون أنها حروف مبان، كحروف المضارعة نحو: النون والتاء والياء والهمزة، فهذه الحروف في نظر ابن الحاجب حروف مبان، لكنها عند الاستراباذي حروف معان وليس من حروف المباني كنونى التثنية والجمع وليست هي من حروف الزيادة إلا إذا زيدت في معنى لغيرها.

وتختلف حروف المباني عن حروف المعاني بأن عددا منها يأتي نيابة عن الحركات كالنون في التثنية والجمع. وقد تباينت آراء النحويين في ذلك، فذهب سبويه إلى أن هذه النون بدل من الحركة، والتنوين، وذهب غيره إلى أنها على ثلاثة أضرب، فتارة تكون بدلا من الحركة والتنوين كما قال سبويه وتارة تكون بدلا من الحركة دون التنوين، وتارة تكون بدلا من الحركة والتنوين ففي نحو: "الرجلان والحصانان" وأما كونها بدلا من الحركة دون التنوين ففي نحو: عضوان وريحان. غير أن البعض زعم أنها أتت للفرق بين التثنية والواحد المنصوب في نحو قولنا: رأيت زيدا.¹

ولو نظرنا إلى حروف المعاني نجدها لا تأتي نيابة عن الشيء، لكن تجيء لتدل على معنى في غيرها، بخلاف حروف المباني التي تصاغ وتركب منها الكلمة وتزاد لغرض من الأغراض، وتكون نيابة عن حرف أو حركة، أو تخضع للقلب والإبدال وما أشبهه.

وتختلف حروف المعاني حروف المباني في عدد كل منها، فحروف المعاني تزيد على التسعين حرفا عند بعضهم، أما حروف المباني فأقل من ذلك بكثير.

وتختلف حروف المعاني عن حروف المباني كذلك من ناحية التعريف والتنكير فحروف المعاني من حقهن أن يكن معارف، أما حروف المعجم كالألف والباء والتاء فمن حقها أن تكون نكرات، فعندما نقول: "إن" و "ليت" هي أشياء معروفة، وقد عرفت مواضعها وأثبتت حقائقها، ولهذا السبب يمنع دخول حروف التعريف عليها،

¹ - جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تح: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1975، ج 2، ص 137.

بخلاف حروف المباني التي تكون نكرة بغير الألف ولام، ومعرفة بالألف واللام ، فنقول : " الراء والقاف والطاء وهكذا".¹

ويعتبر التركيب والإفراد فرقا آخر بين حروف المعاني وحروف المباني، فإننا نجد في حروف المعاني الكثير من الحروف المركبة ثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ، فالثنائية هي : إذ، الـ، أم، إن، أن، أو، آ، أي، إي، بل، ذا، عن، في، قد، كم، كي، لم، لن، لو، لا، مذ، مع، من، من، ما، هل، ها، هو، هي، هم، وا، وي، والثلاثية: أجل، إذن، إذا، ألا، إلى، أما، إن، أن، أنا، أنت، أنت، أي، أيا، يجل، بلى، بله، ثم، جلل، جبر، خلا، ربّ، سوف، عدا، عسى، على، كما، لات، لبت، ليس، منذ، متى، نعم، نحن، هما، هن، هيا، والرباعية: إذما، ألا، إلا، أمّا، إمّا، أنتم، إيا، أيمن، حتّى، حاشا، كأنّ، كلاً، لعلّ، لكنّ، لَمّا، لولا، لوما، مهما، هلاً، والخماسية: لكنّ، أنتما، أنتنّ.²

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعضا من هذه الحروف مختلف في حرفيها، مثل: "ليس" ، فقد ذهب ابن السراج والفارسي في أحد قوليه، وجماعة من أصحابه وابن شقير إلى أنها حرف، رغم أن الجمهور قد عدّها فعلا، وقال صاحب "رصف المباني" : ليست محضة في الحرفية، ولذلك وقع فيها الخلاف بين سبويه والفارسي، فزعم سبويه أنها فعل ، وزعم أبو علي أنها حرف ثم قال : والذي ينبغي أن يقال فيها : إذا وجدت بغير خاصية من خواص الأفعال، وذلك إذا دخلت على الجملة الفعلية أنها حرف لا غير ، كـ "ما" النافية، كقول الشاعر:

يهدى كتائب خضرا ليس يعصياها

إلا ابتدار إلى موت بأسياف³

¹- أبو العباس محمد يزيد المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة ، ط2، 1979، ج1، ص42.

²- المرادي، الجني الداني، ص680، 682، 681.

³- المرادي، الجني الداني، ص493، 494. والبيت للنايعة الذبياني، يقول: إني حامل اللواء في جيش ممدوحيه بطل يتقدم كتائب خضرا بعصمها من عدوها إجم الخيل لا الهرب، وقد روى هذا البيت بـ (إلا ابتدار إلى موت بالجام).

ومثال ذلك كذلك مما اختلف في حرفيه "أنا و أنت و أنت" فهذه الألفاظ الثلاثة ضمائر منفصلة ذكرها المرادي في كتابه لأن قوما من النحويين ذهبوا إلى حرفيها إذا وقعت فصلا بين المبتدأ والخبر¹.

وقد وضع لها النحويون شروطا لتصلح فصلا وعمادا ومن هذه الشروط:

- أن يكون ما قبلها مبتدأ، وأن يكون معرفة.

- أن تطابق ما قبلها فلا تقل : كنت هو الفاضل، ولكن قل : كنت أنت الفاضل.

- أن يكون ما بعدها خبرا معرفة .

ومن فوائد هذه الألفاظ إذا جاءت فصلا :

- الإعلام بأن ما بعده خبر لا تابع.

- الاختصاص والقصر والتوكيد: ولذلك أطلق عليه بعض الكوفيين دعامة، وذلك كما في قوله تعالى : ((إِنَّكَ أَنْتَ أَلْسَمِيعُ الْعَلِيمُ)) فصفة السمع و العلم يشترك فيها الخالق والمخلوق وإن كانتا متباينتين، فسمع الله وعلمه ليس كسمع المخلوقين وعلمهم بل هو سمع وعلم يليق بجلالته وعظمته، ولذلك جيء بضمير الفصل في هذه الآية الكريمة للتأكيد على معنى الكمال في صفة السمع والعلم.

ويمكن أن نخلص إلى أن الاختلاف بين حروف المعاني والمباني هو :

- حروف المعاني تدل على معنى في غيرها، أمّا حروف المباني فلا.

- حروف المعاني لا تأتي نيابة عن الحركات مثل حروف المباني.

- حروف المعاني كثيرة العدد وحروف المباني قليلة العدد.

- حروف المعاني منها ماهو أحادي ومنها ماهو ثنائي أو ثلاثي أو رباعي أو خماسي أما حروف المباني فليست بهذا التقسيم.

¹- ينظر: المرجع السابق، ص 418.

عدّة حروف المعاني :

- اختلف أهل العربية في عدد حروف المعاني اختلافا كبيرا، فنجدها :
- عند الرماني في كتابه "معاني الحروف" نحو ثمانية وستين.
 - عند الهروي في "الأزھية" واحد وأربعون.
 - عند المالقي في "رصف المباني" خمسة وستون.
 - عند ابن هشام في "مغنى اللبيب" تسعة وتسعون.
 - عند ابن فارس في "الصّاحبي" مائة واثنان.
 - عند الثعالبي في "فقه اللغة وسر العربية" ثمانية وثلاثون.
 - عند السيوطي في "الإتقان" مائة واثنا عشر.
 - عند الزجاجي في "حروف المعاني" مائة وسبعة وثلاثون.
 - أما في كتاب الجني الداني فنجدها مائة وخمسة حروف¹.

¹- ابن اسحاق الزجاجي، حروف المعاني، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1986، ص 43.44

الفصل الأول

- أقسام حروف المعاني :

أولا : من حيث الأفراد والتركيب :

وفيها الحروف المفردة والحروف المركبة :

أ- الحروف المفردة : وهي الألف والهمزة، والباء، والتاء، والكاف، واللام، والميم والنون والفاء، والسين، والهاء والواو والياء.

ب- الحروف المركبة: أجل، إذا، إذن، أل، ألا، لا، إلی، وإلا، أم، أما، إمّا، إن، أن، إنّ، أن، أنا، أنت، أنتم، أنتنّ، أو، أي، أيّا، أصبح، أمسى، بجل، بل، بلى، ثم، جلل، جير، حتى، حاشى، خلا، ذا، ربّ، كأنّ، كلا، كما، كي، لا، لكنّ، لكن، لم، لن، لو، لولا، لیت، ما، ذا، من، منذ، مع، نحن، نعم، عدا، عن، على، غنّ، في، سوف، ها، هل، هلاّ، هيا، هو، هي، هما، هم، هنّ، وا، ويّ، يا.

ثانيا : من حيث العمل وعدم العمل :

أ- الحروف العاملة:

من الحروف المفردة حرف الباء (ويعمل الجر).

من الحروف المركبة وهي : إذا، إلی، حاشا، خلا، ربّ، كأنّ، كي، لكن، لم، لن، لیت، منذ، مذ، من، من، مع، عدا، عن، عن، على، علّ، في.

ب - الحروف غير العاملة :

من الحروف المفردة : حرف الألف، الهمزة، الميم، النون، الغين، الفاء، السين، الهاء، الباء.

من الحروف المركبة : أجل، إذا، ال، ألا، إلا، أم، أما، إمّا، أنا، أنت، أنتما، أنتم، أنتنّ، أو، أي، إي، أيّا، بجل، بل، بلى، ثم، جلل، جير، ذا، كلا، لكنّ، لو، لوما، نحن، نعم، قد، سوف، ها، هيا، هل، هلاّ، هو، هي، هما، هم، هنّ، وا، ويّ، يا.

مع الملاحظة أن هناك حروفا قد تكون عاملة وقد تكون غير عاملة ويمكن أن تصنف في قسم ثالث، ومثال ذلك " لولا" فقد ترد حرف شرط للامتناع فهي غير عاملة ، وقد ترد حرف جر، إذا وليها الضمير المتصل، يقول صاحب "الجني

الداني": "والثاني من حالي لولا الامتناعية أن تكون حرف جر، وذلك إذا وليها الضمير المتصل الموضوع للنصب والجر، كالياء والكاف والهاء، قال الشاعر:

وكم موطن لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قلة النيق منهوي¹

فـ "لولا" في ذلك حرف جر عند سبويه والضمير مجرورها لأن "الياء" وأخواتها لا يعرف وقوعها إلا في موضع نصب أو جر، والنصب في "لولاي" ممتنع لأن الياء لا تنصب بغير اسم، إلا ومعها "نون الوقاية" وجوبا، أو جوازا فيتعين كونها في موضع جر²

- زيادة حروف المعاني وحذفها :

قد تكون بعض حروف المعاني زائدة ، وذلك جائز في اللغة، مثل : جنّت بما زاد وهذه زيادة في اللفظ، وتكون كذلك زائدة، في المعنى مثل، إنما الله إله واحد ، وقد تكون الزيادة في المعنى واللفظ معا كقولنا: فبما صدقة منك ، فهذه أقسام ثلاثة في زيادة الحروف، مع أنها حروف معان، زيادتها على خلاف الأصل³.

وما الزائدة لها أربعة أقسام :

الأول : أن تكون زائدة لمجرد التوكيد، وهي التي دخولها في الكلام كخروجها ، نحو : ((فبما رحمة)) و ((عمّا قليل)) و ((ممّا خطاياهم)) و ((إمّا تخافن)) و ((وإذا ما أنزلت سورة))، وزيادتها بعد "إنّ" الشرطية و "إذا" كثيرة.

الثاني: أن تكون كاقّة، وهي تقع بعد "إنّ" وأخواتها ، نحو : ((إنما الله إله واحد)) ، وبعد "رب" و "كاف التثنية" في الأكثر ، وذكر ابن مالك أنها قد تكف "الباء" وتحدث فيها معنا التقليل، وقد جاءت "ما" الكافة أيضا بعد "قلّ" إذا أريد به النفي، نحو : قلّما يقول ذلك أحد.

الثالث : أن تكون عوضا، وهي ضربان : عوض عن فعل، وعوض من الإضافة، فالأول كقولهم : أمّا أنت منطلقٌ انطلقتُ، والأصل : لأنّ كنت منطلقا انطلقتُ،

1- البيت لزيد بن الحكم بن أبي العاص، وطحت: هلكت وقلة النيق: رأس الجبل، والمعنى كثير من مشاهد الحروب لوا وجودي معك فيها لسقطت سقوط من يهوي من أعلى الجبل.

2- المرادي، الجني الداني، ص 603، 602.

3- جلال الدين السيوطي، الأشياء والنظائر، ج2، ص 31.

فحذفت لام التعليل، وحذفت "كان" فانفصل الضمير المتصل بها لحذف عامله، وجيء بـ "ما" عوضا من "كان"، والثاني كقولهم: حيثما، إذما فـ"ما" فيهما عوض من الإضافة، لأنهما قصد الجزم بهما، قطعا عن الإضافة، وجيء بـ "ما" عوضا منها، وجعل بعضهم "ما" في قول امرئ القيس:

ألا ربّ يوم لك منهنّ صالح

ولا سيما يوما بدارة جلجل

عوضا من الإضافة، ونصب "يوما" على التمييز.

الرابع: أن تكون منبهة على وصف لائق، قال ابن السّيد: وهي ثلاثة أقسام: قسم للتعظيم والتهويل، كقول الشاعر:

عزمتُ على إقامة ذي صباح

لأمر ما يسود من يسود¹

وقسم يراد به "التحقير"، كقولك لمن سمعته يفخر بما أعطاه: وهل أعطيت إلا عطيةً ما؟ وقسم لا يراد به التعظيم، ولا التحقير، ولكن يراد به التنويع، كقولك: ضربته ضربا ما، أي نوعا من الضرب.²

ومثال الزيادة أيضا في حروف المعاني زيادة حرف "الباء" وتكون هذه "الباء" الزائدة في ستة مواضع:

الأول: الفاعل، وزيادتها معه ثلاثة أضرب: لازمة، وجائزة في الاختيار، وواردة في الاضطرار.

فاللازمة في فاعل "افعل" في التعجب، على مذهب سبويه وجمهور البصريين، وهي لازمة أيضا على مذهب من جعلها زائدة مع المفعول، ولا يجوز حذفها على المذهبيين إلا مع "أن" و "أنْ" كقول الشاعر:

¹-البيت لأنس بن نهيك، والمعنى: قررت أن أقيم إلى وقت الصباح، لأنني وجدت الرأي والحزم قد أوجبا ذلك، والحقيقة أن المرء لا يسوده قومه إلا لما فيه من الخصال الحميدة.

²- المرادي الجني الداني، ص 333، 334.

وقال نبي المسلمين تقدموا

وأحبب إلينا أن نكون المقدمًا¹

وفي كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (أعزز عليّ أبا اليقضان أن أراك صريعا مجدلاً)² خلافا لصاحب "النهاية" في قوله: إن حذف "الباء" من "أنّ و أن" في التعجب لا يجوز، قال ابن مالك: ولو اضطر شاعر إلى حذف الباء المصاحبة غير "أن" لزمه أن يرفع، وعلى قول الفراء يلزمه النصب.

والجائزة في الاختيار في فاعل "كفى" بمعنى "حسب"، نحو: ((كفى بالله شهيدا)) قال جعفر ابن الزبير: فإن كان بمعنى "وقى" لم تزد في فاعله، نحو: ((وكفى الله المؤمنين القتال)). وأجاز ابن السراج في ((كفى بالله)) وجها آخر، وهو أن يكون فاعله، ضمير المصدر المفهوم من "كفى" أي: كفى هو، أي: الاكتفاء. وردّ بأنّ الباء على هذا ليس لها في اللفظ ما تتعلق به إلا الضمير، والمصدر لا يعمل ضميرا. قلت: وقد ذهب بعضهم إلى جواز إعماله مضمرا، وهو مذهب الكوفيين، وأجاز ابن جني و الرّماني أن يعمل في المجرور، وحكي كذلك عن الفارسي.

و الواردة في الاضطرار في أبيات محفوظة منها قول الشاعر:

ألم يأتيك و الأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد³

وقول الآخر:

ألاهل أتاها و الحوادث جمّة

بأنّ امرأ القيس بن تملك بيقر⁴

وقول الآخر:

مهما لي الليلة مهما ليه

1- البيت لعباس ابن مرداس أحد المؤلفات قلوبهم الذين أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبي حنين مائة من الإبل.

2- قالها علي ابن طالب لطلحة بن عبيد الله لما رآه صريعا يوم الجمل.

3- الربيع بن زياد العيسبي، تنمي: تزيد وتكثر، لبون: الإبل ذات اللبن.

2 - البيت لامرئ القيس من قصيدة قالها بعد أن ذهب إلى الروم مستنجا بغير لالأخذ بثأر أبيه، ابن تملك: هي إحدى أمهاته، بيقر: هاجر من أرض إلى أرض.

أودى بنعلّي و سرباليه¹

الثاني: الفعول، وزيادتها معه غير مقيسة ، مع كثرتها ، نحو: ((ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)) ، ((و هزّي إليك بجذع النخلة)) ، ((فليمدد بسبب)) ، ((ومن يرد فيه بإلحاد)) ، قال ابن مالك : وكثرت زيادتها في مفعول " عرف " وشبهه، وقلّت زيادتها في مفعول ذي مفعولين ، كقول حسّان :

تبَلّتْ فؤادك في المنام فريدة

تسقي الضجيع بباردٍ بسّام²

واختلف في زيادتها في مفعول " كفى " في قوله :

فكفى بنا فضلا على من غيرنا

حبّ النبيّ محمّدٍ إيّانا³

الثالث : المبتدأ ، نحو: بحسبك زيد.

الرابع : الخبر، نحو: ((أليس الله بكاف عبده))

الخامس : النفس والعين في باب التوكيد ، يقال : جاء زيد بنفسه.

السادس : الحال المنفية ، واستدل لها بقول الشاعر :

فما رجعت بخائبة ركاب

حكم ابن المسيّب منتهاها⁴

وكما تزداد حروف المعاني تحذف كذلك ومثال ذلك حذف " لا " في نحو :

فقلّت يمين الله أبرح قاعدا

و لو قطعوا رأسي لديك و أوصالي

1 - البيت لعمر و بن ملقط يستغرب ويستعظم ما حل به ، والسربال : القميص أو الدرع.

2 - البيت لحسان بن ثابت، تبلى : أسقمت ، الخريدة : الفتاة البكر الحرة المستترة.

3 - البيت لحسان بن ثابت أو عبد الله بن رواحة .

4 - المرادي ، الجني الداني ، ص 48 - 55 .

و الأصل أن يقول : لا أبرح .

و من الحروف التي تحذف كذلك " اللام " كما في قول الشاعر :

و قتل مرة أثارن فائنه

فِرْع و إن أخاكم لم يقصد ¹

و المعنى المراد : لأثارن .

و تحذف " الفاء " كذلك ، مثال ذلك :

من فعل الحسنات الله يشكرها

و الشر بالشر عند الله سيان ²

فقد أراد : فالله يشكرها .

وكذلك قول الشاعر :

لما رأيت نبطا أنصارا شمرت عن ركبتني الإزارا

فكنت لهم منالنجارى جارا

فالأصل : فكنت لهم ³.

وحذفت "الواو العاطفة" كذلك في قول الشاعر:
إنّ امرأ رهطه بالشّام منزله

برمل يبيرين جارا شدّ ما اغتربا ⁴

فالأصل يقول : ومنزله ⁵

¹ - البيت لعامر بن الطفيل العامري ، فرغ : أي هدر.

² - البيت لحسان بن ثابت.

³ - أحمد جميل شامي، معجم حروف المعاني، مؤسسة عز الدين ، بيروت، ط 1، 1992، ص 13.

⁴ - البيت للحطيئة ، بيرين: قرية شرق السعودية.

⁵ - نفس المرجع ، ص 14.

وحذف الحرف "قد" التي حذفت وقدرت في قوله تعالى : ((قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون)) والمراد: وقد اتبعك الأرذلون ، وأشار ابن ضياء الدين الشجري إلى أن المعنى : أنؤمن لك في هذه الحال ، وإنما وجب تقدير "قد" هاهنا لأن الماضي لا يقع في موضع الحال إلا ومعه "قد" ظاهرة أو مقدره، فالظاهرة كقولنا : قد جاء زيد وقد أعيب ، أي : معيياً والمقدرة في الآية المذكورة.

غير أن ابن يعيش يرى أن حذف الحرف يأباه القياس ، لأن المراد بحروف المعاني الاختصار والنيابة عن الأفعال ، فـ "ما" النافية تنوب عن النفي ، وهمزة الاستفهام تنوب عن أستفهم ، وحروف العطف تنوب عن أعطف ، وحروف النداء عن أنادي ، فحذفها يكون عادة اختصار المختصر، وهذه إجحاف ، لكنّ ورود حذف النداء يجيء لقوة الدلالة على المحذوف، فصارت القرائن الدالة على المحذوف كالتلفظ به .

ويذكر السيوطي نقلاً عن ابن يعيش أنه ليس الأصل في الحروف الحذف إلا أن يكون مضعفاً فيخفف ، نحو: "إنّ" و"لكنّ" و"ربّ" ، ويبطل عملها ويكون الاسم الذي بعدها مرفوعاً على الابتداء.

أمّا ابن جني فيرى في "المحتسب" أنه لا يجوز اختصار المختصر لأنه إجحاف به ، ولا يجوز حذف الحرف قياساً ، لأن الحروف إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار ، فلو حذفناها لكنا مختصرين لها أيضاً، والمعروف أن اختصار المختصر إجحاف به.

ويشير السيوطي إلى أن صاحب "البيسط" يصرح بأن القياس يقتضي عدم حذف حروف المعاني ، وعدم زيادتها ، لأنها وضعت للدلالة المعاني ، فحذفها يخلّ بالمعنى الذي وضعت له ... أمّا الحكم بزيادتها فيتعارض مع وضعها للدلالة على المعنى .

مصنفات في حروف المعاني:

اهتم العلماء العرب قديما بحروف المعاني ، و قام النحاة و علماء أصول الفقه والمفسرون بدور متكامل في البحث عن وظائفها و دلالاتها ، كجزء من خدمة النص القرآني ، و جزء من اهتماماتهم اللغوية و التشريعية . و وضعت منذ القرن الثاني الهجري مصنفات كثيرة حول حروف المعاني ، لم يصلنا من قديمها الكثير ، وإن أشارت إليها المصادر ، بعضها بحث في حروف المعاني في إطار عام ، ضمن قواعد النحو أو أصول الفقه ، وبعضها الآخر تناول حروف المعاني على سبيل الاستقلال و تقتصر في عرضنا هنا على المصنفات المعروفة مع ذكر أصحابها :

- **المحلى** (وجوه النصب) لأبي بكر أحمد بن الحسين بن شقير النحوي البغدادي (ت : 317 هـ) بدأ مصنفه بوجوه الإعراب (النصب و الرفع و الخفض و الجزم) واستوعب ذلك نحو نصف الكتاب ، وجعل النصف الثاني لجمل الأدوات . و الكتاب مطبوع ، نشرته مؤسسة الرسالة 1987 م ، بتحقيق د . فايز فارس .

- **كتاب حروف المعاني** ، لأبي القاسم عبد الرحمان بن إسحاق الزجاجي (ت : 340 هـ) شرح فيه 137 حرفا من حروف المعاني ، وأدخل فيه ألفاظا كثيرة لم يعتبرها المحققون من حروف المعاني . و الكتاب مطبوع ، نشرته مؤسسة الرسالة 1984 م ، بتحقيق د . علي توفيق الحمد .

- **منازل الحروف** ، لأبي الحسين بن عيسى الرماني (ت : 388 هـ) و هو كتيب صغير حصر فيه مصنفه طائفة من حروف المعاني وشواهدا . و الكتاب مطبوع ، نشرته دار الفكر بعمان 1984 م ، بتحقيق د . إبراهيم السامرائي .

- **الأزهية في علم الحروف** ، لعلي بن محمد النحوي الهروي (ت : 415 هـ) شرح فيه حروف المعاني ، دون التزام منهج واحد في الترتيب و الشرح ، ولكنه أكثر توسعا و تفصيلا من كتاب الرماني . و الكتاب مطبوع ، نشره مجمع اللغة العربية بدمشق 1981 م ، بتحقيق عبد المعين الملوح .

- الحروف لأبي الحسين المزني (من علماء القرن الرابع الهجري) يشرح مصنفه حروف المعاني بمنهج مطّرد ، إلا أنّ ما يلاحظ عليه ضآلة المعلومات حول مؤلفه . و الكتاب مطبوع ، نشرته دار الفرقان بعمان 1983 م ، بتحقيق د . محمود حسني محمود و د . محمد حسن عواد .

- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب ، لعلاء الدين بن علي الإربلي (ت : 631 هـ) وهو معجم للحروف العربية ، رتب فيه صاحبه الحروف حسب بنيتها ، فبدأ بالأحادية و انتهى بالخماسية ، تجاوز فيه المفهوم التقليدي لحروف المعاني ، وتناول مجمل الحروف العربية . و الكتاب مطبوع ، نشرته دار النفائس في بيروت 1991 م ، بتحقيق د . إميل بديع يعقوب . و كان طبع لأول مرة عام (1294 هـ) .

- كتاب الحروف ، لأبي الفضائل الرازي (ت : 631 هـ) و هو كتاب مختصر يبحث في التقسيمات المختلفة لحروف الهجاء و لا يبحث في حروف المعاني . و الكتاب نشر في مجلة المورد (ج 3 ، عدد 4 ، 1974) .

- رصف المباني في شرح حروف المعاني ، لأحمد بن عبد النور المالقي (ت : 702 هـ) يسير فيه مؤلفة على منهج مترابط منظم مرتب على ترتيب حروف المعجم ، قصره على حروف المعاني ، مع الأخذ بالمفهوم الموسع لها ، الذي يتجاوز الأدوات . و الكتاب مطبوع ، نشره مجمع اللغة العربية بدمشق 1975 م ، بتحقيق د . أحمد الخراط .

- الجنى الداني في حروف المعاني ، للحسن بن قاسم المرادي (ت : 749 هـ) توسّع مؤلفه في مقدمته التي يشرح فيها حد الحرف و جملة معانيه و أقسامه ، رتب حروف المعاني حسب بنيتها ، فبدأ بالأحادية و انتهى بالخماسية . و الكتاب مطبوع ، نشرته دار الكتب العلمية في بيروت 1992 م ، بتحقيق د . فخر الدين قباوة و الأستاذ محمد نديم فاضل .

- مغنى اللبيب عن كتب الأعراب ، لابن هشام الأنصاري (ت : 761 هـ) و رغم أن الكتاب . ضم أبواباً من النحو مختلفة ، إلا ان نصفه الأول جعله لحروف

المعاني . وقد نال الكتاب شهرة واسعة ، واعتبر من المراجع الأساسية لحروف المعاني و تجاوزت شهرته الكتب التي عرضت لحروف المعاني وحدها . التزم فيه مصنفه منهجا واضحا ، ورتبه على حروف المعجم . و الكتاب طبع محققا طبعا كثيرة .

- كتاب **الصحابي في فقه العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها** لأحمد ابن فارس بن زكريا الرازي أبو الحسين (ت : 395 هـ) و فيه أورد بابا واسعا للحروف عامة ، ثم لحروف المعاني ، وحل كل حرف من جوانبه الصوتية ، و المعنوية ، و النحوية ، و الأسلوبية ، و تقسيماتها .

- كما شرح أبو الفتح عثمان بن جني في كتاب (**الخصائص**) جوانب مختلفة من مسائل الحروف منها : زيادتها وحذفها ، التناوب بينها ، مضارعتها للحركات ، ساكنها و متحركها ، مداها وإدغامها ، حروف اللين .

- واهتم جلال الدين السيوطي في (**المزهر**) بجوانب مختلفة من مسائل الحروف ، كظواهر الإبدال و القلب و التصحيف .

- كما تحدث في كتابه (**الإتقان**) عن معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسرون وهي الحروف ، في فصل من أوسع فصول الكتاب .

ومن الناحية الصوتية للحروف وضعت مصنفا كثيرة في مقدمتها مصنفا علم التجويد ، التي درست فيما يتعلق بالحروف مخارجها و الظواهر المتعلقة بيها كالإدغام و الإظهار و الإقلاب و الإخفاء و المد و القلقة و الترقيق و التفخيم وغيرها .

- ومن الكتب القديمة التي وصلتنا و بحثت في صوتيات الحروف رسالة (**أسباب الحروف**) للشيخ الرئيس أبي علي بن الحسين ابن سينا ، الفيلسوف المشهور (ت : 428 هـ) و حل فيها مخارج الحروف و سبب حدوثها و تشريح الحنجرة و اللسان و الأسباب الجزئية لحدوث كل حرف عربي و غير عربي .

كما درست كتب النحو و الصّرف حروف المعاني من جوانبها الوظيفية ، وأسهمت معها في الحديث عن حروف الإعراب و غيرها من أشكال الحروف .

وهناك كتب قديمة اهتمت بجانب من الحروف أو بحرف معين ، نذكر مما وصلنا منها:

- الاستغناء في أحكام الاستثناء ، لشهاب الدين القرافي (ت : 682 هـ) و جعله لأدوات الاستثناء .

- الألفات لابن خالوية (ت : 370 هـ) و جعله لأدوات الاستثناء .

- رسالة (كلاً) في القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن رستم الطبري (ت : 304 هـ) ، و نشرت معها (مقالة كلا) لأحمد بن فارس .

- اللّامات لأبي جعفر النحاس (ت : 338 هـ) .

- اللّامات لأبي قاسم الزجاجي (ت : 337 هـ) .

- اللّامات للهروي (ت : 415 هـ) .

و في العصر الحديث ظهرت بحوث كثيرة ، درست الظواهر المختلفة للحروف صوتياً و دلالياً و نحويًا ، بعضها نشر في كتب مستقلة و بعضها الآخر في دوريات متخصصة كما ظهرت معاجم خاصة بالحروف . إضافة إلى ما تضمنته كتب النحو الحديثة و معاجم النّحو من دراسات حول مختلف الجوانب المتعلقة بالحروف ، ونشير هنا إلى المصنفات التالية :

- مقدمة لدرس لغة العرب ، للشيخ عبد الله العلايلي . و هو كتاب ظهر عام 1938 م ، و تضمن طروحات جريئة حول ظواهر اللغة العربية و مناهج البحث العجمي فيها ، و من بينها ظواهر نشوء الحروف و الصيغ .

- الأصوات اللغوية ، للدكتور إبراهيم أنيس . وفيه يحلل مختلف الظواهر الصوتية ، وأشكال الأصوات و الحروف .
- أصوات العربية بين التّحول و الثّبات ، للدكتور حسام سعيد النعيمي . ويدرس فيه الأشكال الصوتية للحروف وما فيها من ثبات وما يطرأ عليها من تحولات .
- علم اللغة العام (الأصوات) للدكتور كمال محمد بشر . ويتناول فيه الظواهر الصوتية عامة و الأصوات العربية و تصنيفاتها و مخارجها و الحركات .
- حروف الإضافة في الأساليب العربية ليوسف نمر ذياب . و يدرس فيه الحروف العربية عامة و حروف الإضافة أو حروف الجر و معانيها على وجه الخصوص .
- اللامات للدكتور عبد الهادي الفضلي . و فيه يقدم دراسة نحوية شاملة للّامات في اللغة العربية .
- أسلوب (إذ) ، للدكتور عبد العال سالم مكرم . و يبحث فيه جميع أوجه الحرف (إذ) في ضوء الدراسات القرآنية و النّحوية .
- الشرط في القرآن ، للدكتور عبد السلام المسدي و الدكتور محمد الهادي الطرابلسي . و يتناول الكتاب بالإحصاء و التحليل أدوات الشرط في القرآن الكريم على نهج اللسانيات الوصفية .
- حروف المعاني بين دقائق النحو و لطائف اللغة ، للدكتور محمود سعيد . و هو بحث شامل في حروف المعاني بين استعمالات النحوية و الفقهية .
- في التحليل اللغوي ، للدكتور خليل عمايرة . وهو بحث يدرس فيه وفق منهج وصفي تحليلي ظواهر التوكيد و النفي والاستفهام و أدواتها ، و يطرح بشأنها آراء جريئة .
- معجم حروف المعاني ، للدكتور أحمد جميل شامي ، قدّم له بشرح عن حروف المعاني ثم أوردتها مرتبة حسب بنيتها .

- الحروف العربية و الحواس الست ، للأستاذ حسن عباس (دراسة في مجلة اللسان العربي ، مجلد 17 ج 1 ، 1979) و يشرح فيه الجوانب الصوتية للحروف و خصائصها و معانيها و علاقة ذلك بالحواس .

- معاني حروف المعاني وأصول استعمالها ، للأستاذ حسن عباس (دراسة من قسمين في مجلة اللسان العربي العدد 33 ، 1989 و 34 ، 1990) و هي أقرب ما تكون إلى الدراسات الأنثروبولوجية ، و ما يفترض أنه نشأ في كل مرحلة من حروف المعاني ، كما يقدم تحليلاً للدلالة الذاتية لهذه الحروف .

- الألف في اللغة العربية ، للدكتور كمال محمد بشر (دراسة في مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ج 22 ، 1967) تبحث في مدلولات هذا الحرف و مراحل تطوره .

- الأدوات المفيدة للتنبيه في كلام العرب ، للدكتور فتح الله صالح المنصري ، ويتناول أدوات التنبيه ودلالاتها و أساليب استعمالها في اللغة العربية .

- نظرية الحرف المختص في النحو العربي و أثرها في التقعيد ، للدكتور علي هروط (دراسة في مجلة مؤتة للبحوث و الدراسات مجلد 9، عدد 1 ، 1994) .

- موسوعة الحروف في اللغة العربية ، للدكتور إميل بديع يعقوب . وهي من أشمل ما وضع في هذا الباب من معاجم .

- أساليب الاستفهام في القرآن ، لعبد الحليم فودة .

- أساليب القسم في القرآن الكريم ، لكازم الراوي .

- أساليب النفي في العربية ، لمصطفى النحاس .

- أساليب النفي في القرآن الكريم ، لأحمد ماهر البقري .

- نشأة حروف المعاني، للدكتور هادي عطية مطر .
- تناوب حروف الجر في لغة القرآن ، لمحمد حسن عواد .
- حروف المعاني في القرآن الكريم ، للشريف قصار .
- معجم الأدوات و الضمائر في القرآن الكريم للدكتور إسماعيل عمايرة و الدكتور عبد الحميد مصفى السيد .
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم للشيخ محمد عبد الخالق عظيمة¹.

¹ - ينظر: محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط1، 1996، ص ش.

الفصل الثاني

القوى الإنجازية لحروف المعاني في كتاب الجنى الداني

حروف المعاني في اللغة العربية أدوات دالة على معانٍ، وهذه المعاني هي القوى الإنجازية في تعبير المعاصرين، وحروف المعاني تثري اللغة العربية بأساليب كثيرة متنوعة صالحة لمقامات تواصلية مختلفة حسب إرادة المتكلم وقصده.

وقد اعتنى العلماء العرب قديماً بهذه الحروف وخصّصوا لها أبواباً في كتب النحو، وقد ألف المرادي كتابه " الجنى الداني " كلاً في تتبع هذه الحروف وبيان معانيها، وهذه المعاني والإفادات التي تفهم من هذه الحروف تمثل بصدق ودقّة لنظرية الأفعال الكلامية كما يتصورها الفكر التداولي المعاصر ولذلك صحّ في تصورنا أن تعدّ تلك المعاني والإفادات والمقاصد " أفعالاً كلامية " باعتبارنا نتعاطاها عبر الرؤية التداولية¹.

والقوى الإنجازية التي تتضمنها حروف المعاني حسب ما ذكر المرادي كثيرة وسنحاول نحن ذكرها بشيء من البيان والتفصيل، مع الحفاظ على الترتيب الذي أورده المرادي في كتابه الجنى الداني.

¹- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص266.

القوى الإنجازية في حرف "الهمزة":

الهمزة: حرف "مهمل يكون للاستفهام وللنداء" ¹.

❖ الاستفهام: "هو طلب العلم بما في ضمير المخاطب، وقيل هو طلب

حصول صورة الشيء في الذهن" ².

❖ النداء: هو "الدعاء بـ"يا" أو إحدى أخواتها أو طلب الإقبال بإحدى

أدوات النداء" ³. ثم يذكر المرادي أن همزة الاستفهام قد ترد لمعاني

أخرى بحسب المقام، أي بحسب الاستعمال والقصدية في تعبير

المعاصرين، وهذه المعاني كثيرة يحكمها المقام وغرض المتكلم، ومن

هذه المعاني:

1. التسوية:

كقوله تعالى: { سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ } البقرة [06]، والتسوية

إحدى المعاني التي ترد لها الهمزة عندما تخرج عن كونها استفهاماً حقيقياً

وحيثئذ يتعين وقوع "أم" المعادلة بعدها ويكون الغرض منها التسوية في الحكم

بين الاسم الواقع بعدها والاسم بعد "أم" ⁴ أي: سواء عليهم الإنذار وعدمه، وقد

نزلت هذه الآية الكريمة في حَيِّي بن أخطب، وأبي ياسر وابن الأشرف

¹ - المرادي، الجنى الداني، ص266.

² - الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق محمد صادق المنشاوي، دار الفضل، القاهرة، ص18.

³ - محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985، ص219.

⁴ - المرجع نفسه، ص108.

الفصل الثاني

ونظرائهم، وقال الربيع ابن أنس نزلت في قادة الأحزاب وهم أهل القليب ببدر¹.

ومعنى الآية الكريمة أنّ الذين كفروا غطّوا الحق وستره وقد كتب الله عليهم ذلك، سواء عليهم إنذارك وعدمه فإنهم لا يؤمنون بما جنّتهم به، كما قال تعالى: { إن الذين حقّقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم }، وقال تعالى في حق المعاندين من أهل الكتاب: { ولئن أتيت الذين أتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك.... }.

أي إنّ من كتّب الله عليه الشقاوة فلا مُسعِد له، ومن أضله فلا هادي له؛ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، وبلغهم الرّسالة فمن استجاب لك فله الحظ الأوفر، ومن تولّى فلا حزن عليهم ولا يهمنك ذلك؛ { فإنّما عليك البلاغ وعلينا الحساب } الرعد[40]، { إنّما أنت نذير والله على كلّ شيء وكيل } هود[12]².

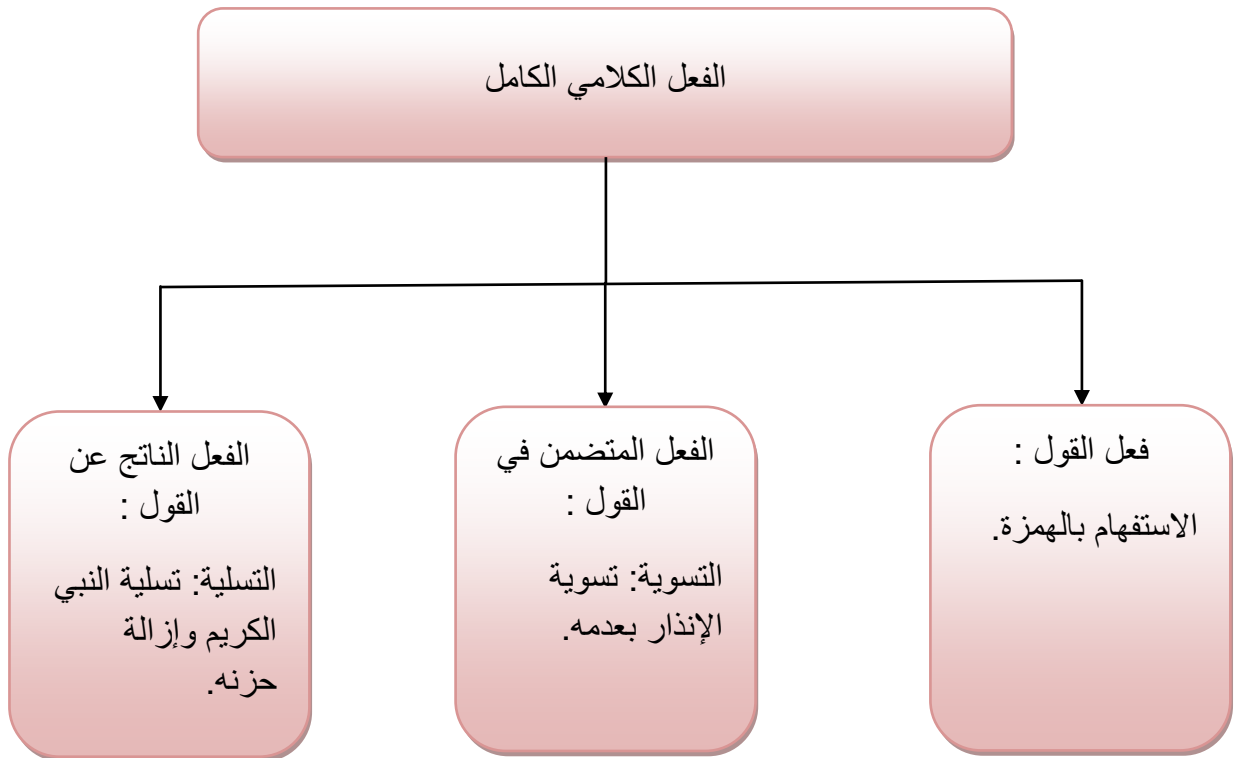
ومن خلال معنى الآية الكريمة نستطيع أن نحدد القوة الإنجازية لها والتي هي "التسوية بين الإنذار والسكوت عن الإنذار" لأن الإيمان قد سبق في القدر، ولكن ذلك لا يعني الكفّ عن الدعوة، لأنها مطلوبة لذاتها.

¹ - ينظر: ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط1، 2001، ص86.

² - ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق أبو إسحاق الجويني، دار الجوزي، الدمام، السعودية، ج1، ص127.

أما الفعل الناتج عن القول (Acte perlocutoire) والذي يسميه بعضهم بالفعل التأثيري فهو "تسلية" النبي صلى الله عليه وسلم ' في عدم إيمان من لم يؤمن به من الكفار، كما قال تعالى: {فلا تذهب نفسك عليهم حسرات} ¹. فعدم الاستجابة للدعوة مع حرص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم على ترغيبهم وترهيبهم تسبب له حزناً كبيراً، لكن الله تعالى أذهب حزنه لأن الهداية والضلال سابقان في علم الله وقدره، وإذا علم ذلك زال الحزن.

■ فالفعل الكلامي الكامل للآية الكريمة هو كالتالي: ²



¹ - ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص218.

² - المخططات في هذا البحث من وضعنا استفدناها من الدكتور مسعود صحراوي، من كتابه التداولية عند العلماء العرب، ص58.

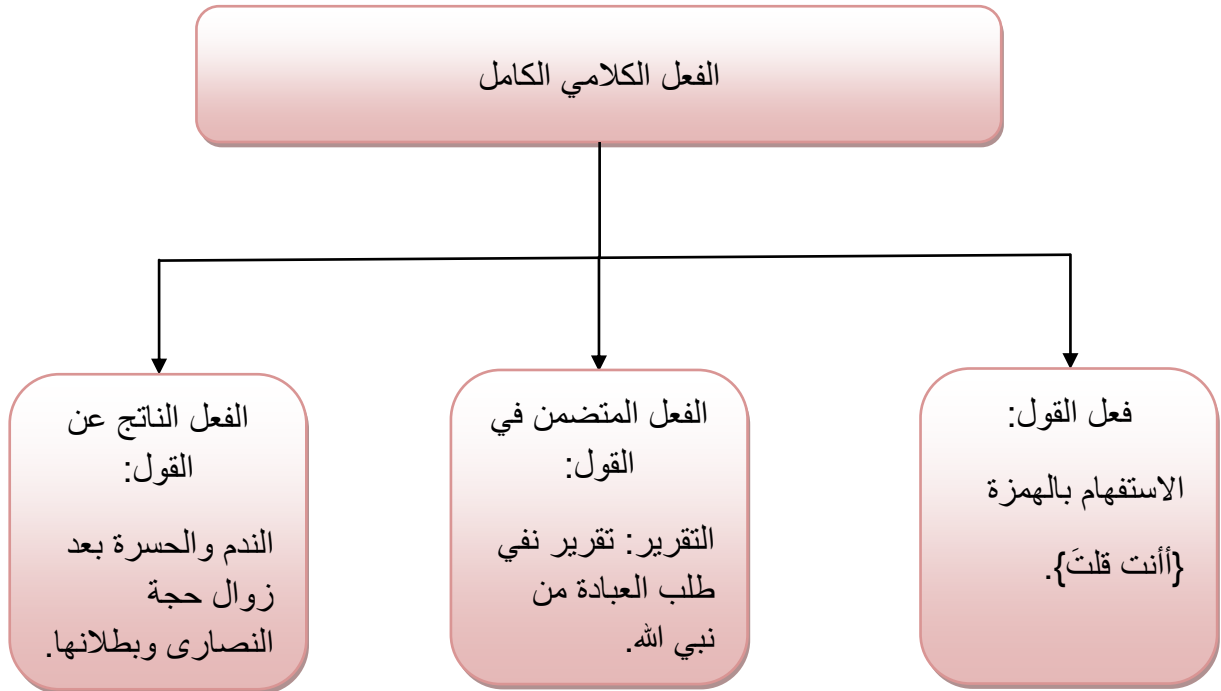
2. **التقرير:** وهو "توقيف المخاطب على ما يعلم ثبوته أو نفيه"¹.

نحو قوله تعالى: {أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين} المائدة [115].

والتقرير في هذه الآية الكريمة هو توقيف المخاطب نبي الله عيسى عليه السلام على ما يعلم نفيه، أي على نفي أن يكون قال للنصارى اتخذوني إلهًا، فهو لم يقل ذلك وإنما أراد الله تعالى منه تقرير ذلك ونفيه ليكون حجة قاطعة على النصارى المشركين.

أما الفعل الناتج عن هذا التقرير فهو تقرير النصارى على رؤوس الأشهاد وإقامة الحجة عليهم ليثبت عذابهم ويقطع الأمل من نفوسهم فيذوقوا طعم الحسرة والندامة.

. فالفعل الكلامي هنا هو كالتالي:

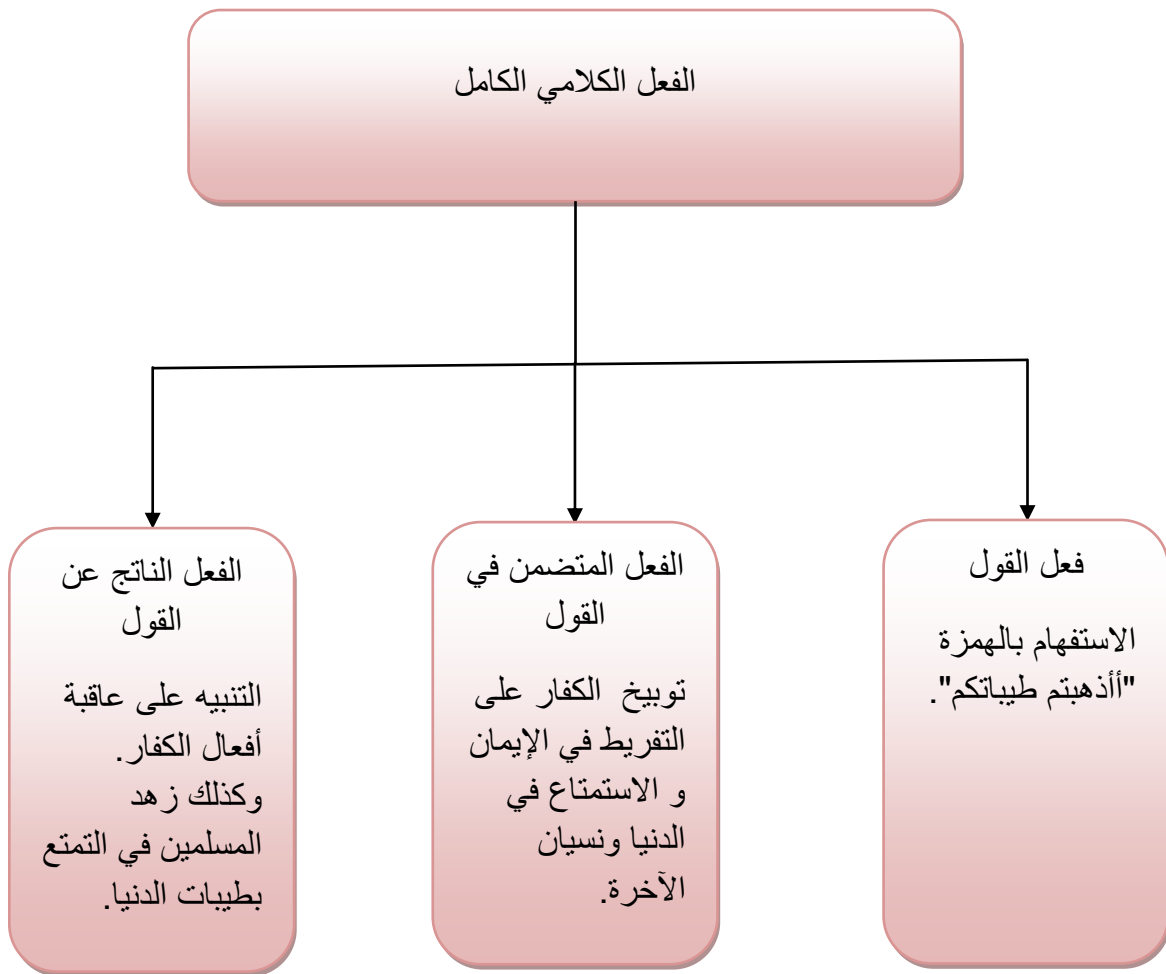


¹ - المرادي، الجنى الداني، ص32.

3. التوبيخ:

نحو قوله تعالى: { أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها } من سورة الأحقاف على قراءة ابن كثير وابن عامر¹. والتوبيخ هو "اللوم والإيقاع في الندم"²، فتوبيخ الكفار على استبدالهم حسنة الدنيا بالآخرة زيادة في عذابهم النفسي في الآخرة، أما في الدنيا فهو تخويف وتنبيه على ما سيحل بهم لو فعلوا ذلك.

▪ فالفعل الكلامي في هذا هو كالتالي:



¹ - ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ط2، 1980، ج7، ص392.

² - محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص238.

4. التحقيق:

وهو تيقن الأمر وجعله ثابتاً لازماً، نحو قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وقد ورد هذا البيت في قصيدة طويلة لجرير يمدح فيها "عبد الملك بن مروان" مطلعها:

أتصحو أم فؤادك غير صاح

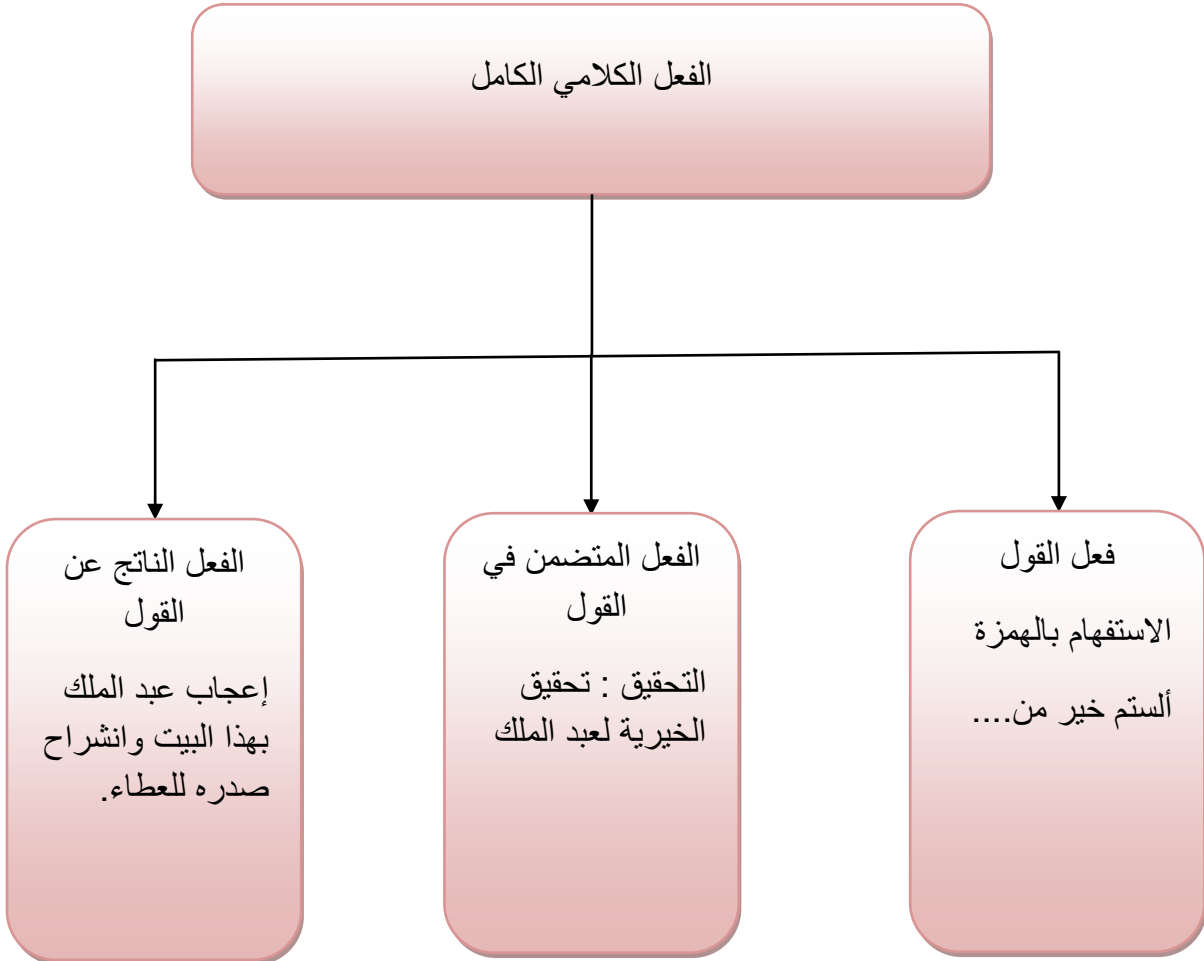
عشية همّ صحبك بالرواح

وقال عبد الملك في ذلك بعد سماع ذلك البيت: من مدحنا فليمدحنا بمثل هذا أو فليسكت، ووهبه مائة ناقة، فسأله الرعاء، فوهبه ثمانية أعبد، فنحّاه إليه بالقضيب وقال: خذها لا نفعتك¹.

فهذا الاستفهام في البيت لا يراد لحقيقته بل يراد به تحقيق وإثبات أن عبد الملك خير من ركب وخير من جاد، وهذا ما جعل عبد الملك بن مروان منشرح الصدر فرحاً مسروراً فأعطى جريراً ما لا يخطر على باله.

¹ - ينظر: ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ج2، ص57.

■ الفعل الكلامي في هذا هو كالآتي:

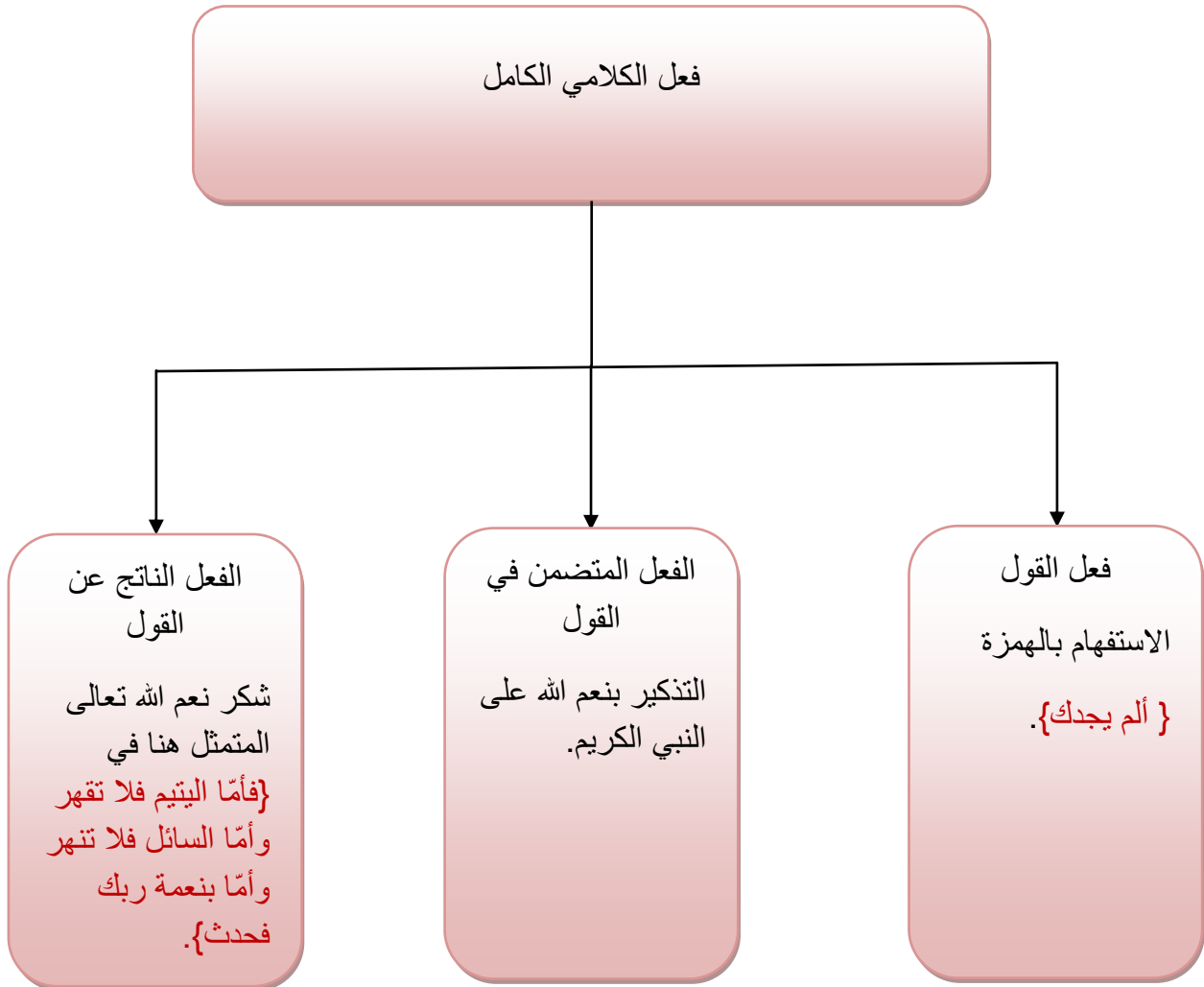


5. التذكير:

نحو قوله تعالى: { ألم يجدك يتيما فأوى } الضحى [06]. في هذه الآية الكريمة يذكر الله تعالى نبيّه الكريم 'صلى الله عليه وسلم' بنعمته عليه حال نشأته فقد توفي أبوه وهو جنين، وتوفيت أمه وهو ابن ثمان سنين، فكفله عمّه "أبو طالب" فأحسن تربيته، ثم إنه قد ضلّ في شعاب مكة في صغره فردّه الله إلى

جده "عبد المطلب"، وقيل أنه ضلّ في طريق الشام حين خرج به "أبو طالب" وقيل غير ذلك¹.

■ فالفعل الكلامي الكامل لهذه الآية الكريمة هو كالآتي:

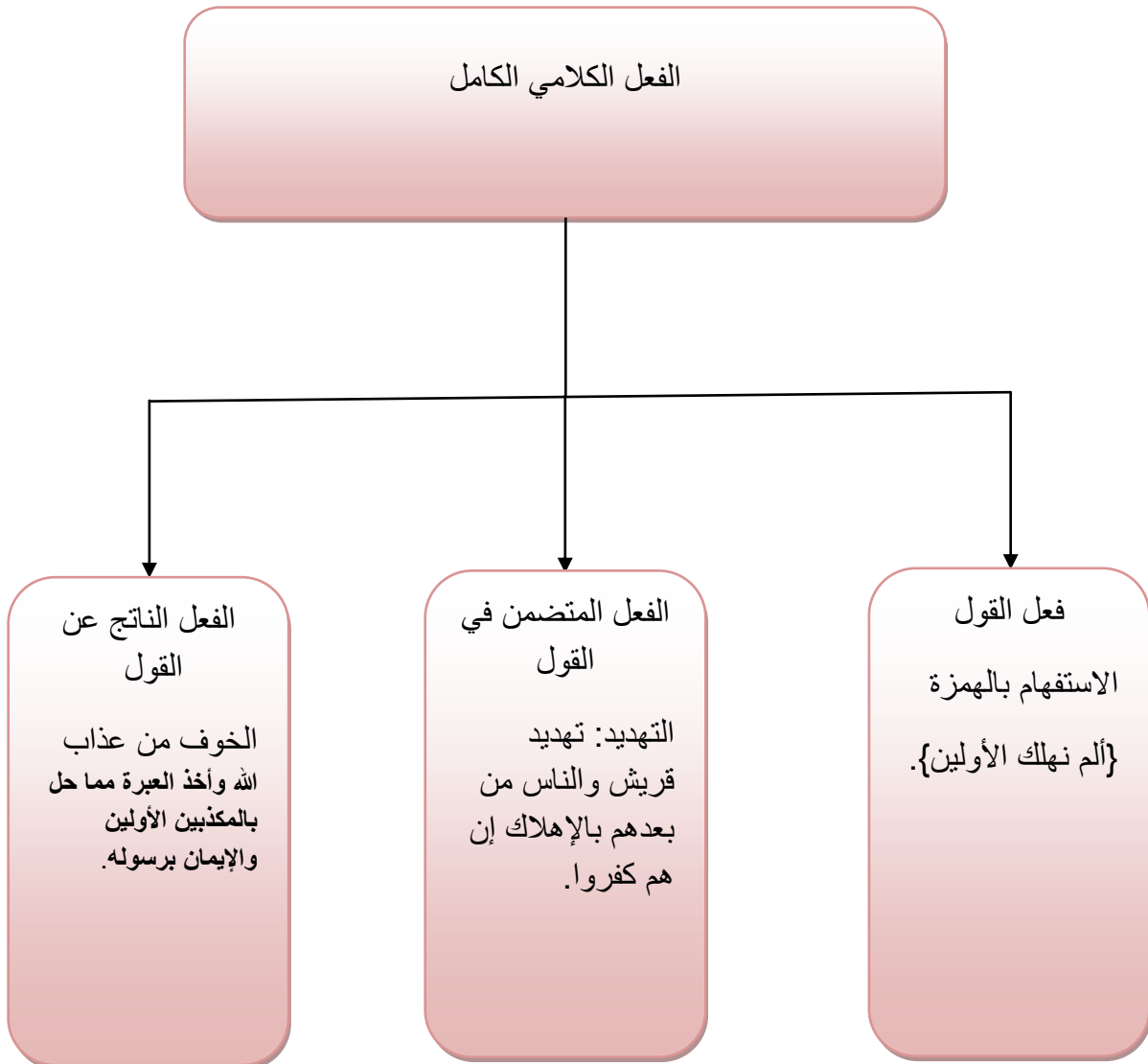


¹ - ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، 2010، ج10، ص497.

6. التهديد:

نحو قوله تعالى: { ألم نهلك الأولين } المرسلات [13]، فأهلك الأقسام السابقة كقوم نوح و عاد و ثمود يقتضي تهديداً وتخويفاً كبيراً موجهاً لقريش، مما يجعلهم يرجعون عن تكبرهم و عنادهم، ومما يدفعهم دفعاً للاستسلام لله ورسوله.

■ أما عن الفعل الكلامي للآية الكريمة فهو:



7. التنبيه:

نحو قوله تعالى: { ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرة } الحج [63]. لما ذكر الله تعالى ما دلّ على قدرته الباهرة من إيلاج الليل في النهار والنهار في الليل وهما أمران مشاهدان مجيء الظلمة والنور ذكر أيضا ما هو مشاهد في العالم العلوي والعالم السفلي، وهو نزول المطر وإنبات الأرض، وإنزال المطر وإخضرار الأرض مرئيان، ونسبة الإنزال إلى الله تعالى مدركة بالفعل. وقال أبو عبد الله الرازي: الماء وإن كان مرئيا إلا أن كون الله منزله من السماء غير مرئي إذا ثبت هذا وجب حمله على العلم، لأن المقصود من تلك الرؤية إذا لم يقترن بها العلم كانت كأنها لم تحصل¹.

وقال الزمخشري: " فإن قلت: هلا 'أصبحت' ولم صرفَ إلى لفظ المضارع؟ قلت: لنكتة فيه وهي إفادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان ، كما تقول: أنعم عليّ فلان عام كذا، فأروح وأغدوا شاكرًا له ولو قلت: فرحتُ وغدوتُ لم يقع ذلك الموقع.

فإن قلت: فما له رفع ولم ينصب جواباً للاستفهام؟ قلتُ، لو نصبَ لأعطى ما هو عكس الغرض لأنَّ معناه إثبات الإخضرار، فينقلبُ بالنصب إلى نفي الإخضرار، مثاله: قولك لصاحبك؛ ألم تر أني أنعمتُ عليك فتشكر، إن

¹ - ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج7، ص513.

الفصل الثاني

نصبته فأنت ناف لشكره شاك تفريطه، وإن رفعته فأنت مثبت للشكر. وهذا وأمثاله ممّا يجب أن يرغب له من اتّسم بالعلم في علم الإعراب وتوقير أهله¹.

وقال سيبويه: وسألته- يعني خليل- عن {ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة} فقال: هذا واجب وهو تنبيه. كأنك قلت: أسمع {أنزل الله من السماء ماء} فكان كذا وكذا.

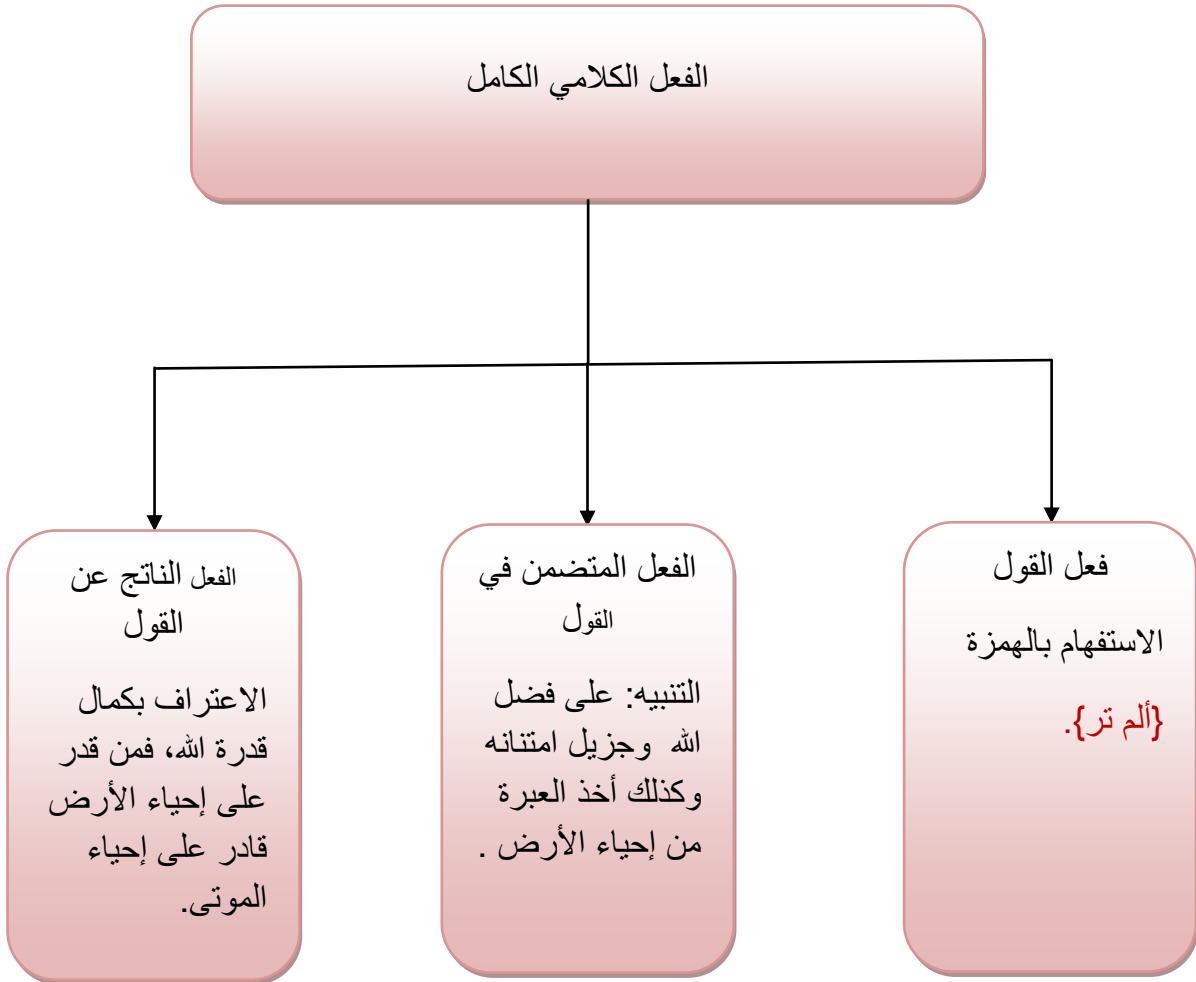
قال ابن خروف: ".....تفسير الكلام بـ "أسمع" ليريك أنه لا يتصل بالاستفهام لضعف حكم الاستفهام فيه"².

فانظر إلى التحليل العميق لدى أرباب البلاغة بما يسميه المحدثون بـ "القوة الإنجازية"، فقد قال الزمخشري: "لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض"، وقال ابن خروف: "وفسر الكلام -أي سيبويه- بـ "أسمع" ليريك أنه لا يتصل بالاستفهام لضعف حكم الاستفهام فيه"، وقال سيبويه موضحاً القوة الإنجازية لهذا الاستفهام: "هذا واجب وهو تنبيه".

¹ - جار الله الزمخشري، تفسير الكشاف، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2009م، ص700.

² - ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ص531.532.

▪ فالفعل الكلامي الكامل للآية الكريمة هو:



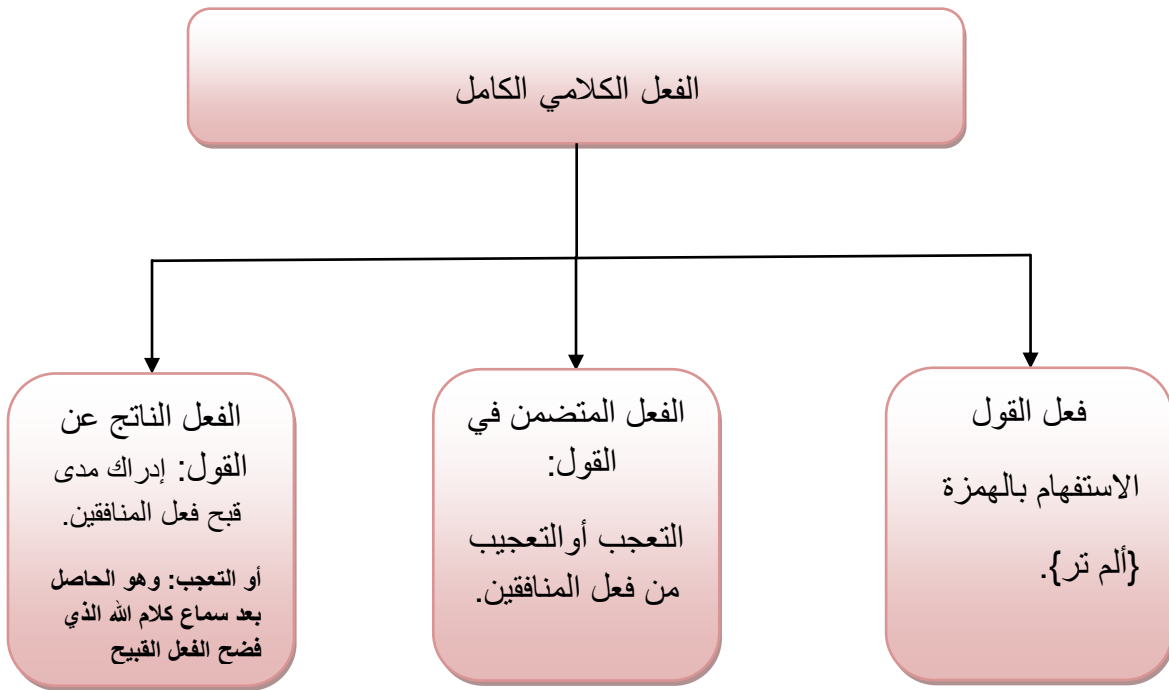
8. التعجب:

نحو قوله تعالى: { ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم }
المجادلة [14].

قال الطاهر بن عاشور: " هذه حالة أخرى من أحوال أهل النفاق في توليهم اليهود مع أنهم ليسوا من أهل ملّتهم، لأن المنافقين من أهل الشرك. والقوم

الذين غضب الله عليهم هم اليهود، وقد عُرفوا بما يرادف هذا الوصف في القرآن في قوله تعالى: { غير المغضوب عليهم } الفاتحة [7]. والاستفهام **تعجيب** مثل قوله تعالى: { ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى } ووجه التعجب من حالهم أنهم تولوا قوماً من غير جنسهم، وليسوا في دينهم، ما حملهم على توليهم إلا اشتراك الفريقين في عداوة الإسلام والمسلمين¹. و**التعجب** هو حمل المخاطب على التعجب، وهو الأنسب لهذا المقام، لأنّ التعجب محال على الله تعالى²، فالتعجب يكون من الناس، والتعجب هو الغرض من هذا الاستفهام، وبما أن التعجب هو حمل المخاطب على التعجب فسيكون الفعل الناتج عن القول هو التعجب، والفعل المتضمن في القول هو التعجب، وصح أن يكون التعجب لو كان الشاهد من كلام الناس³، أو هو تعجب يليق بالله تعالى ليس كتعجب المخلوقين⁴. ويكون الفعل الكلامي الكامل للآية كالتالي:

¹ ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج28، ص47.48.
² - ينظر: عصام الدين إسماعيل بن محمد، حاشية القنوي على تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ج3، ص66.
³ - هذا عند من يؤولون الصفات .
⁴ - هذا قول أهل السنة في صفات الله تعالى.



9. الاستبطاء:

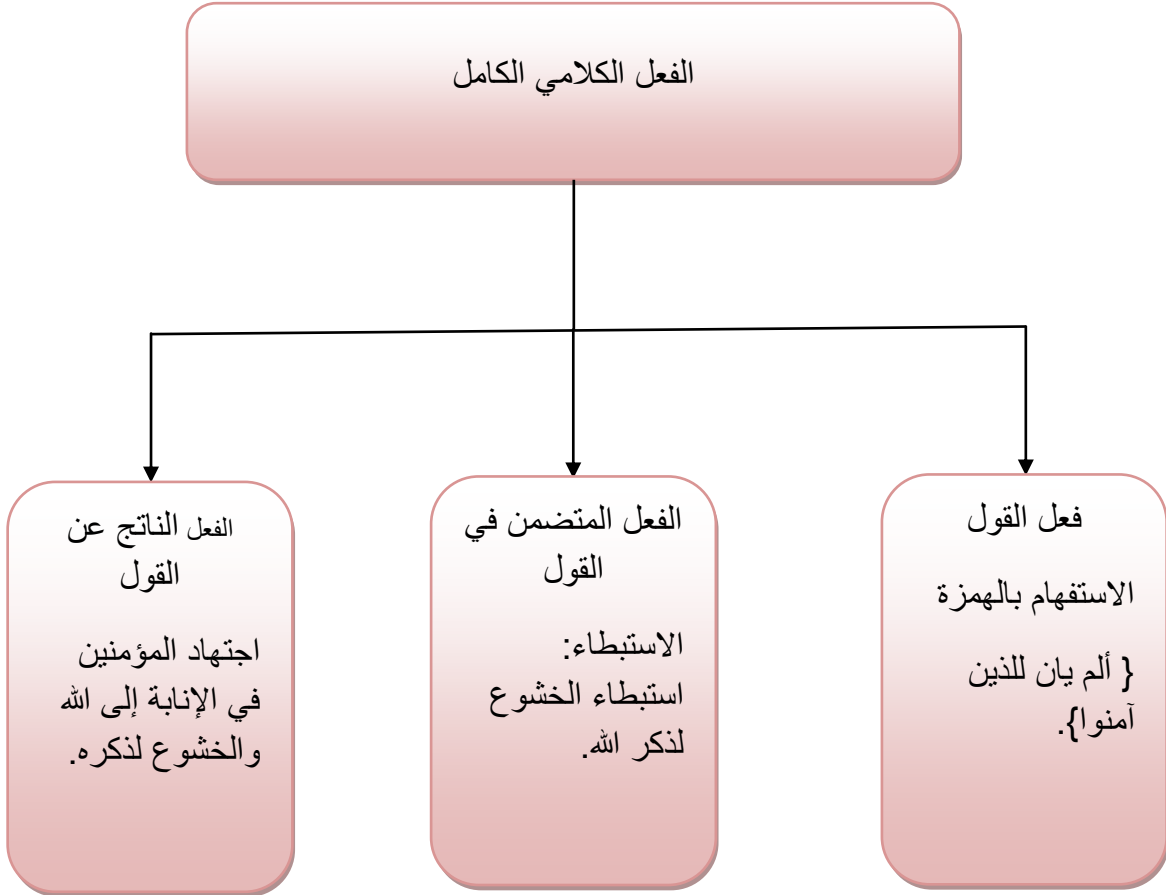
نحو قوله تعالى: { ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله { الحديد] [16].

والاستبطاء هو "طلب الإبطاء أو وجدان الشيء بطيئاً، وهو من معاني همزة الاستفهام"¹. وفي الآية الكريمة هو على المعنى الثاني، فقد استبطأ الله تعالى قلوب المؤمنين فعاتبهم. وعن الحسن "رضي الله عنه": "أما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤون من القرآن أقل مما تقرأون فانظروا في طول ما قرأتم منه وما

¹ - إميل بديع يعقوب، موسوعة علوم اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2006م، ج2، ص5.

ظهر فيكم من فسق، وسبب هذا العتاب والاستبطاء أنّ المؤمنين كانوا مجدين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرّزق والنعمة ففتروا عمّا كانوا عليه¹.

■ الفعل الكلامي الكامل للآية الكريمة:



10. الإنكار:

نحو قوله تعالى: {أصطفى البنات على البنين} الصافات [153].

¹ - ينظر: جار الله الزمخشري، الكشاف، ص1083.

أما الإنكار في اللغة فهو مصدر من الفعل 'أنكر'، وأنكر الشيء إذا جهله، وأنكر حقّه: جده ولم يعترف به. وأنكر عليه فعله: عابه، وتكرّر الرجل: تغيّر عن حال تسرّه إلى حال يكرهها¹.

وأما الإنكار في الاصطلاح: فهو أن تتكر على المخاطب، وتستهن منه ما حدث؛ ليتنبّه السّامع حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل ويرتدع يعني بالجواب، إمّا لأنّه قد ادعى القدرة على فعل ما لا يقدر عليه، فإذا ثبت على دعواه قيل له: افعل، فيفضحه ذلك، وإمّا لأنّه همّ بأن يفعل ما لا يُستصوبُ فعله، فإذا روجع فيه تنبّه وعرف الخطأ وإمّا لأنه جوّز وجود أمرٍ لا يوجد مثله، فإذا ثبت تجويزه قبّح على نفسه، وقيل له: فأرناهِ في موضعٍ وفي حالٍ، وأقمّ شاهداً على أنه كان في وقتٍ².

والاستفهام الإنكاري في القرآن الكريم من أكثر أنواع الاستفهام، وأوسعها تصرفاً، "فجملّة أساليبه بلغت سبعاً وثمان مائة... وكثرت في المكيّ حيث بلغت ثلاثين وستمائة"³.

وفي الآية الكريمة يبدأ الاستفهام الإنكاري من قوله تعالى: { فاستفتهم أريك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين}. فلما افتري المشركون على الله

¹ - ينظر: سمير الخوري الشرتوني، أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، منشورات آية الله العظمى قم، إيران، مادة أنكر.
² - عبد الفاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة مصر، 1989م، دط، ص119.120.

³ - عبد العليم السيّد فوده، أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، دار الشعب، القاهرة، 1953م، ص191.

الفصل الثاني

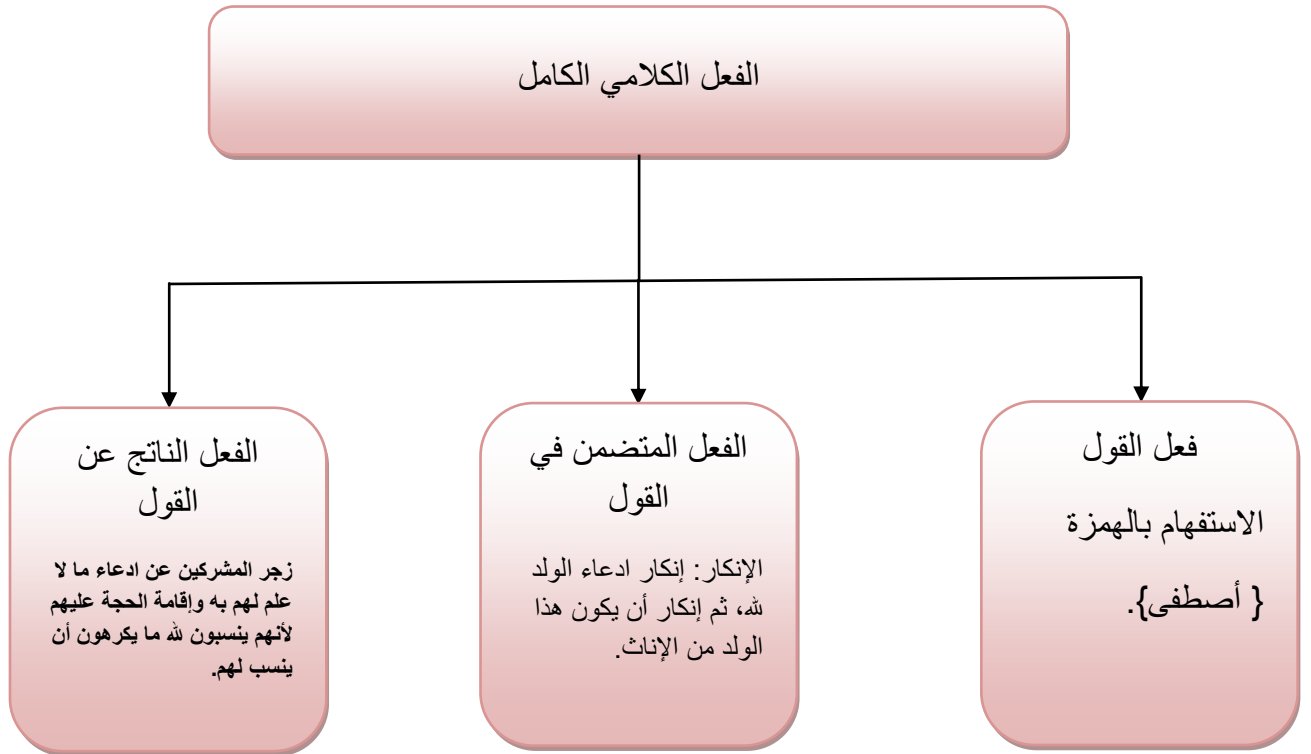
قولا عظيما وادعوا أنّ الملائكة بناته قبّح الله عليهم شنيع قولهم وألزمهم الإتيان بالحجة والسلطان، وما هم بفاعلين، تعالى الله عما يقول المشركون علواً كبيراً.

يقول الزمخشري في تفسيره: "لما قالوا في صفة الملائكة إنهم بناتُ الله بين الله قبّح قولهم. فقال: سلهم من أين قالوا؟ وبأيّ حجة حكموا؟ وبما زعموا؟ وأيّ شبهةٍ داخلتهم، ثم إنهم كانوا يستتكفون من البنات، ويؤثرون البنين عليهم، ومع كفرهم وقبيح قولهم وصفوا القدير-سبحانه- بما استتكفوا منه أنفسهم؟"¹.

فهذا الإنكار إنكار شديد يأتي من جهتين وله سببان، فكيف يكون لله سبحانه الأحد الصمد ولد وبنون، ثم كيف يكون هذا الولد إناثا وليس له ذكورا؟؟ فشدّة الإنكار تزداد من جهة قبّح الادعاء.

■ الفعل الكلامي لهذه الآية الكريمة يكون كالتالي:

¹ - الإمام القشيري، لطائف الإشارات، تحقيق إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000م، ط3، ج3، ص242.



11. التَّهْكَمُ:

نحو قوله تعالى: { قالوا يا شعيبُ أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد ءاباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد } هود [87].

والتهكم لغةً: التعرض للناس بالشر، جاء في معجم العين: "الهَكْمُ": المقتحِمُ على ما لا يعنيه، والمعترض للناس بالشر، قال:

تهكم حربٌ على جارنا وألقى عليه له كَلْأَلًا¹

¹ - ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، لبنان، د سنة، باب الهاء والكاف والميم، ج3، ص382.

وفي تاج العروس: "التهكم : الاستهزاء والاستخفاف، يقال: قاله على سبيل التهكم.....وهو أيضا الوقوع في القوم"¹.

أما التّهكم في اصطلاح البلاغيين فهو: "أخص منه في اللغة لأنه في اللغة بمعنى الاستهزاء مطلقاً، وفي الاصطلاح هو الخطاب بلفظ الإجلال في موضع التحقير، والبشارة في موضع التحذير، والوعد في مكان الوعيد، والعدر في موضع اللوم، والمدح في معرض السخرية، ونحو ذلك"².

"وادعى المصري³ أن فنّ التّهكم من مبدعاته، لكن الزمخشري قد سبق إلى ذكره، أما المصري فهو أول من عقد له باباً"⁴، وقال في تعريفه: "هو في الاستعمال عبارة عن الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار والوعد في مكان الوعيد والمدح في معرض الاستهزاء"⁵.

ومثال التّهكم والذي هو من قبيل استعمال المدح في موضع الاستهزاء قول "ابن الذّروي"⁶ في "ابن أبي حصينة القاضي:

لا تظنّ حذبة الظهر عيباً فهي في الحسن من صفات الهلال

وكذلك القسيّ مُحَدَوِدَات وهي أنكى من الظبا و العوالي

¹ - السيد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي هلال، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 2001م، ط1، ج34، ص111-112.

² - السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني، أنوار الرّبيع في أنواع البديع، تحقيق شاكر هادي شكر، مكتبة العرفان، كربلاء، العراق، 1968م، ط1، ج2، ص185.

³ - اسمه عبد العظيم بن واحد بن ظافر بن أبي الأصبع العدواني البغدادي ثم المصري، شاعر وكاتب (595-654هـ)، من تصانيفه بديع القرآن، تحرير التحبير، عن ويكيبيديا.

⁴ - أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، دار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2006م، ط1، ج2، ص376.

⁵ - ابن أبي الأصبع المصري، تحرير التحبير، تحقيق حنفي محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، دسنة، ص568.

⁶ - هو الحسن علي بن أبي الحسن وجيه الدين ابن الذروي (ت677هـ) من مشاهير الشعراء بمصر. عن ويكيبيديا

الفصل الثاني

وإذا ما علا السنام ففيه
وذنابي القطة وهي كما تعد
وأرى الانحناء في منسر البيا
كون الله حذبةً فيك إن شئت
لقرور الجمال أي جمال
لم كانت موصوفة بالجلال
زي لم يعد مخلب الربال
من الفضل أو من الإفضال
فأنت ربوة على طود حلم
طال أو موجة ببحر نوال
ما رأتها النساء إلا تمت
لو غدت حاية لكل الرجل
وكقول ابن الرومي:

فيا له من عمل صالح يرفعه الله إلى أسفل

وهل يُرفع العمل إلى أسفل؟!، والفرق بين التهكم والهزل الذي يراد به الجدّ أن التهكم ظاهره جدّ وباطنه هزل، وهو ضد الأول، لأنّ الهزل الذي يراد به الجدّ يكون ظاهره هزلاً وباطنه جدّاً¹.

وفي الآية الكريمة: { قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد } هود [87]. "يظهر التهكم في وصف نبيّ الله شعيب 'عليه السلام' بأنّه حليم رشيد، وما أراد قومه بهذا الوصف إلا الاستهزاء لأنّ شعيباً عليه السلام كان كثير الصلاة، مواظباً على العبادة فرضها ونفلها، ويقول: الصلاة تنهى عن الفحشاء

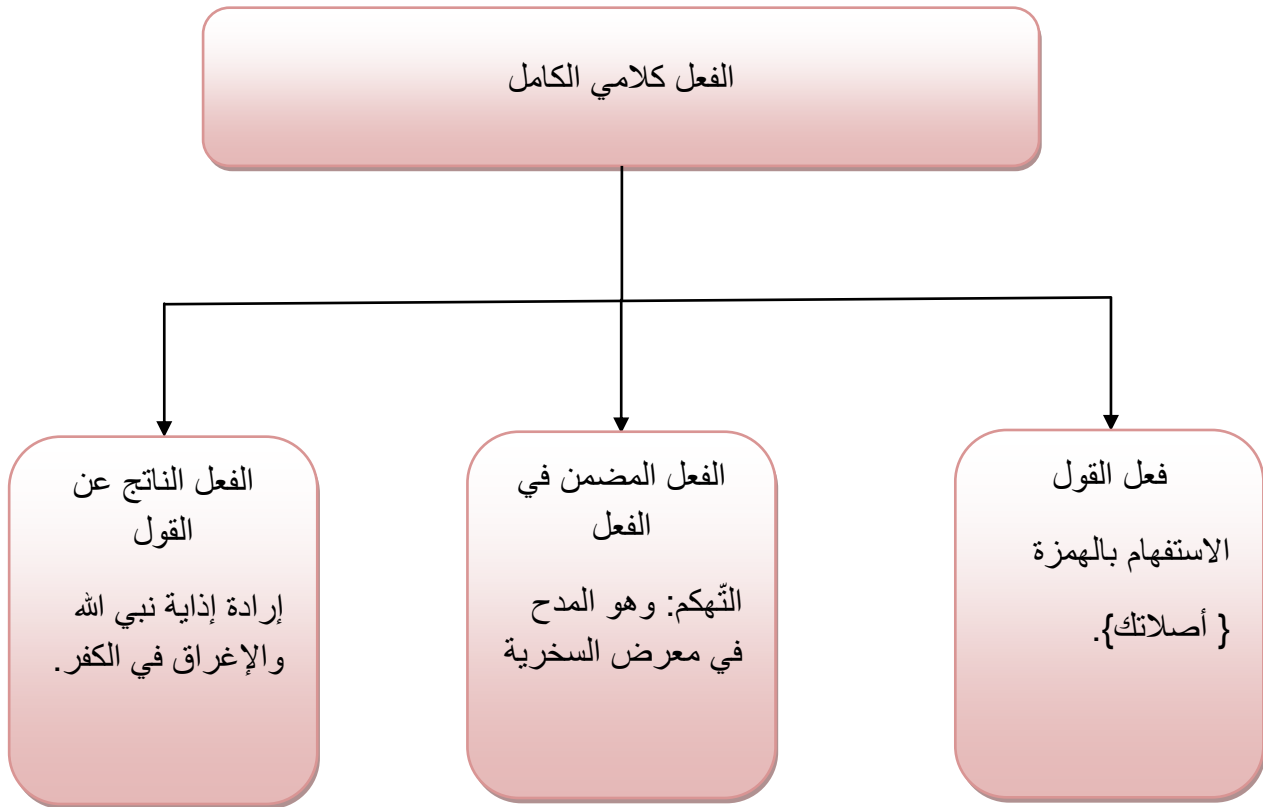
¹ - ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2006م، ط1، ج2، ص376.377.

الفصل الثاني

والمنكر، فلما أمرهم ونهاهم عيروه بما رأوه يستمر عليه من كثرة الصلاة، وهزؤوا به¹. ويظهر الاستهزاء جلياً في قولهم: { إنك لأنت الحليم الرشيد }، قال قتادة: " قالوه على وجه الاستهزاء والسخرية، ومثل هذا قول خزنة جهنم لأبي جهل: { ذق إنك أنت العزيز الكريم } الدخان [49]، ومثله قول العرب للحبشي: أبو البيضاء و للأبيض: أبو الجون"².

فالقوة الإنجازية لهذا الاستفهام هو التّهم و هو مراد قوم نبيّ الله شعيب.

■ ويكون الفعل الكلامي الكامل كالآتي:



¹ - محمد بن أحمد أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،

2006م، ط1، ج11، ص193.

² - المصدر نفسه، ص194.

- القوى الإنجازية في حرف " لو " :

ذكر المرادي لها خمسة أنواع :

. " لو " الامتناعية .

. " لو " الشرطية التي بمعنى " إن " .

. " لو " المصدرية .

. " لو " التي للتمني .

. " لو " التي للتقليل .

ونحن نجد في الرابعة والخامسة قوتان إنجازيتان و هما التمني و التقليل حيث يقول المرادي عن " لو " التي للتمني أنها الامتناعية أشربت معنى التمني¹ و يستدل على ذلك بقوله: " لأنها قد جاء جوابها باللام بعد جوابها بالفاء في قول الشاعر :

فلو نبش المقابر عن كليب

فتخبرَ بالذنائب أيّ زير

بيوم الشعثمين لقرّ عينا

وكيف لقاء من تحت القبور؟²

¹ - المرادي، الجنى الداني، ص 289.

² - نفسه، ص 289.

وينقل لنا المرادي مثالا على " لو " التي للمنتى قوله تعالى : { فلو أنّ لنا كرة فنكون } [الشعراء 102].

ففي هذه الآية الكريمة يبيّن لنا الله تعالى حال أهل النار حين يلقون في الجحيم ، لقوله تعالى : { وبرّزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكوا فيها هم و الغاؤون و جنود إبليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله إنّ كنا لفي ضلال مبين إذ سنويكم ربّ العالمين وما أضلنا إلاّ المجرمون فما لنا من شافعين و لا صديق حميم فلو أنّ لنا كرة فتكون من المؤمنين إنّ في ذلك لأية وما كان أكثرهم مؤمنين } [الأعراف: 91- 103] فأهل النار من الكفرة حين يرون نجاة من نجا بالشفاعة و لا يجدون من يشفع فيهم يتمنون الرجوع إلى الدنيا ليكونوا من المؤمنين ، لكنّ التمني هذا لن ينفعهم لأنهم أَعذروا وضيّعوا الفرصة .

يقول القاضي البيضاوي: " { فلو أنّ لنا كرة } تمنٍ للرجعة، وأقيم فيه " لو " مقام " ليت " لتلاقيهما في معنى التقدير ، أو شرط حذف جوابه ، { فنكون من المؤمنين } جواب أو عطف على كرة، أي : لو أنّ لنا أن نكرّ فنكون { إنّ في ذلك } أي فيما ذكر من قصة إبراهيم { لأية } لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها و يعتبر فإنها جاءت على أنظم ترتيب و أحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الإشارة إلى أصول العلوم الدينية و التنبية على دلائلها و حسن دعوته للقوم حسن مخالفته معهم و كمال

الفصل الثاني

إشفاقه عليهم ، وتصور الأمر في نفسه و إطلاق الوعد و الوعيد على سبيل الحكاية تعريضا و إيقاضا لهم ليكون أدعى لهم إلى الاستماع و القبول¹ و يقول الشيخ محي الدين شيخ زاده - معلقا في الحاشية عن قول القاضي البيضاوي -: " (و أقيم فيه " لو " مقام " ليت " لتلاقيها في معنى التقدير) يقول : أي تقدير المعدوم و فرضه فإنّ معنى : ليت لي مالا ، تقدير المعدوم كما أنّ المعنى في قولك : لو كان كذا لكان كذا ، تقدير المعدوم إلاّ أنه في التمني مقرون بالطلب ، وفي " لو " ليس كذلك ، ويدل على أن كلمة " لو " هنا للتمني أنه نصب جوابه مع الفاء ، ويجوز أن تكون على أصلها ، ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت و كيت و لوجدنا شفعاء و أصدقاء و على هذا يكون نصب قوله : " فنكون " بأن مضمرة عطا على كَرّة² يقول الطاهر بن عاشور : " ثم فرّعوا على هذا التحسّر و الندامة تمنّي أن يعادوا إلى الدنيا ليتداركوا أمرهم في الإيمان بالله وحده .

و " لو " هذه للتمني و أصلها " لو " الشرطية لكنها تنوسى منها معنى الشرط .

وأصلها : لو أرجعنا إلى الدنيا لآمنّا ، لكنه إذ لم يقصد تعليق الامتناع على الامتناع تمحضت " لو " للتمني لما بين الشيء الممتع و بين كونه متمنّى من المناسبة .

¹ - محمد بن مصلح الدين مصطفى القونوي الحنفي، حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، ط1، 1999، ج6، ص350.

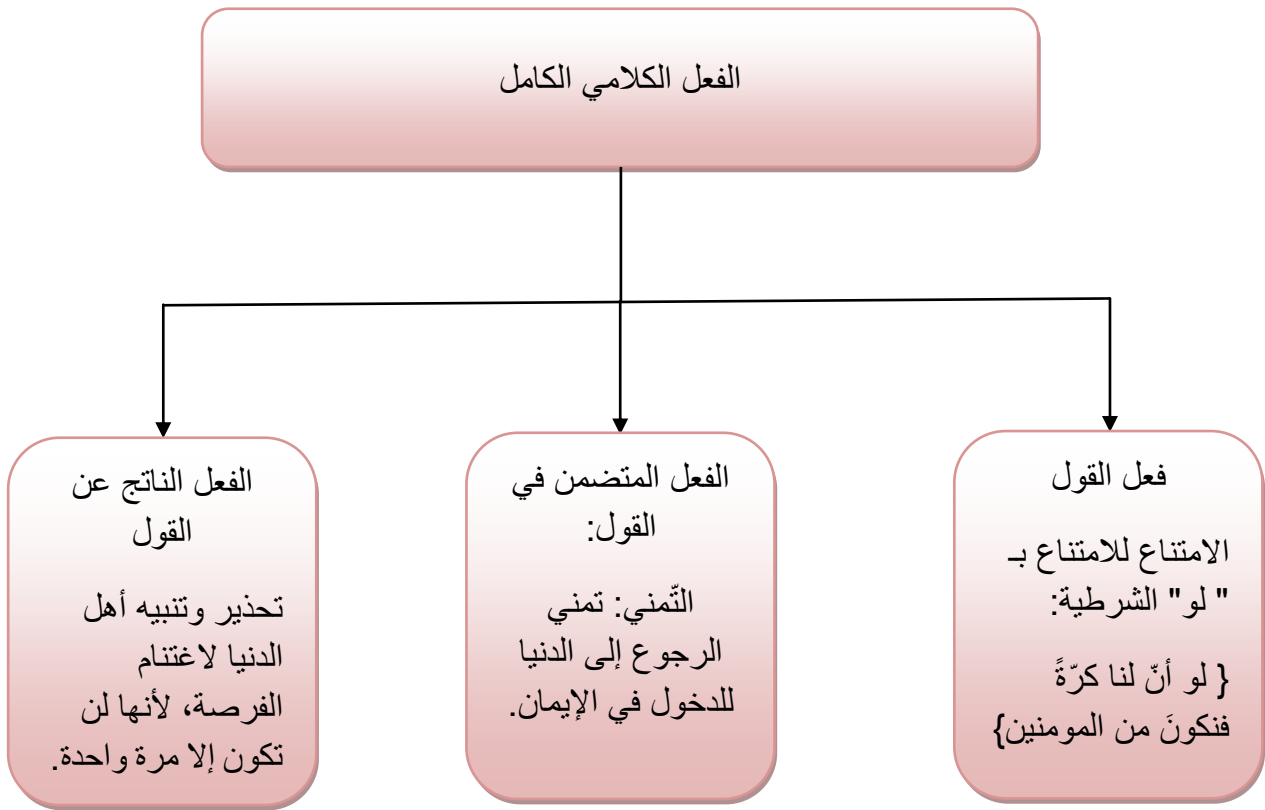
² - محمد بن مصلح الدين مصطفى القونوي، حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي، ج6، ص350.

الفصل الثاني

وانتصب " فنكون " في جواب التمني".¹

فالقصد هنا هو الذي نقل " لو " من الشرطية إلى التمني و لأن المقام مناسب للتمني لأنه طلب المستحيل ، فأهل النار يعلمون أنهم لن يعودوا إلى الدنيا ولن تتاح لهم فرصة أخرى.

ويكون الفعل الكلامي الكامل كالتالي :



¹ - الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتوير، دار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج19، ص155 و 156.

- أمّا عن " لو " التي **للتقليل** فيقول المرادي : " و ذكر بعضهم لـ " لو " قسماً آخر ، و هو أن تكون **للتقليل** كقولك : أعط المساكين و لو واحداً و صلّ و لو الفريضة ، قال : ومنه قوله تعالى : " ولو على أنفسهم " } النساء 135¹ .

ومعنى **التقليل** جاء من شرطها البعيد الوقوع ، " فقوله **صلى الله عليه و سلم** ((**تصدقوا و لو بظلف محرق**)) يعلمنا ألا نحقر من المعروف شيئاً ، فالظلف المحرق أبعد شئ عن أن يُتصدّق به ، لكونه قليلاً مرغوباً عنه ، ومع ذلك علينا ألا نحقر الصدقة به .

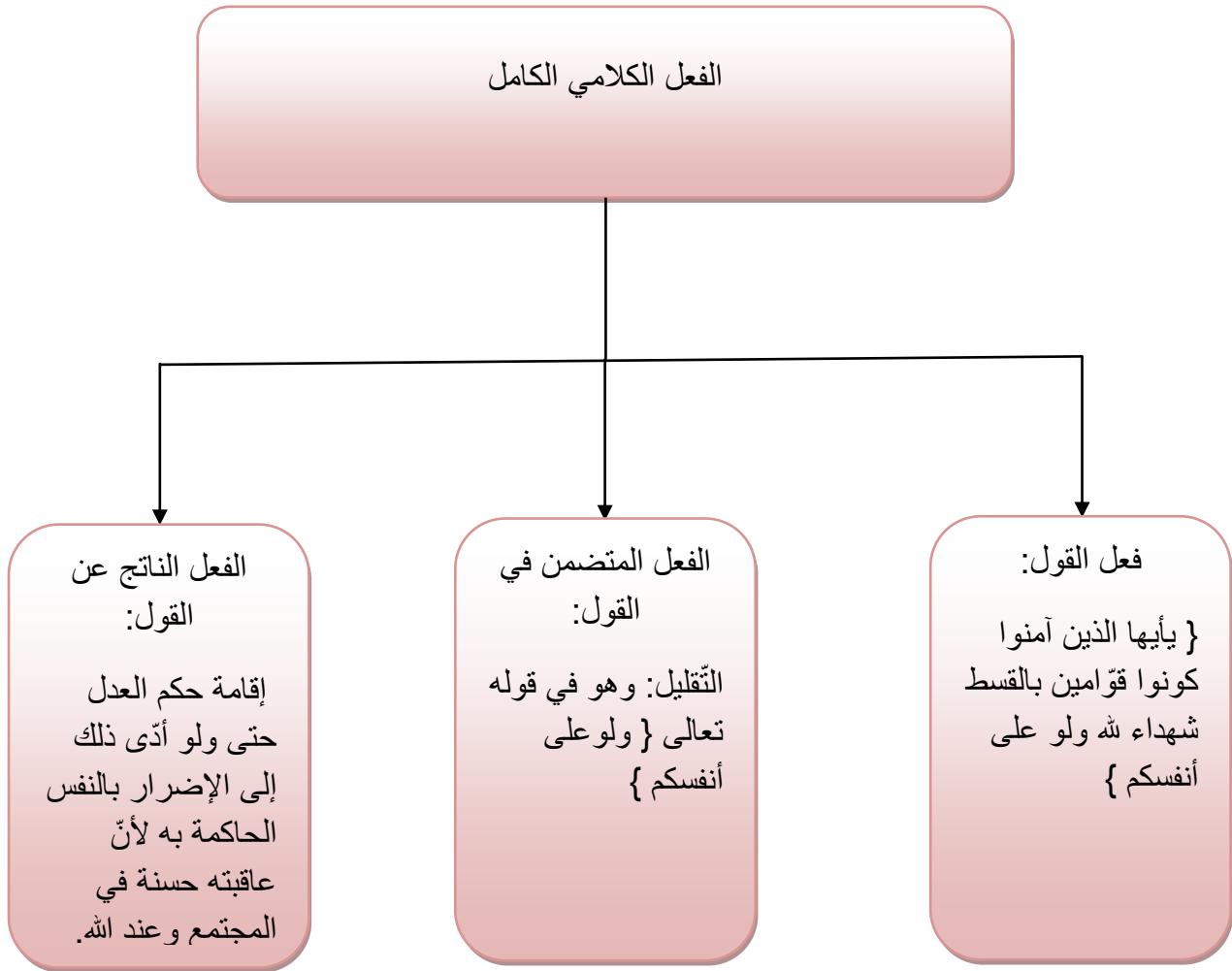
ونحو : ((**تصدّق و لو بتمر**)) فإنّ التمرة بعيدة عن أن يُتصدّق بها لزهدها .

ونحو : ((**التمس و لو خاتماً من حديد**)) فخاتم الحديد أبعد شيء عن أن يكون مهراً لزهادة قيمته ، ومن هنا دخلها معنى **التقليل**.²

أمّا عن الفعل الكلامي فيكون - **على حسب المرادي** - كالتالي :

¹ - المرادي، الجنى الداني، ص290.

² - فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، الأردن، ط1، 2000، ج4، ص91.



القوى الإنجازية في حرف "لا" النافية:

قال المرادي: " معنى { فلا اقتحم العقبة } البلد [11] فلا فك رقبة ولا أطعم مسكيناً، ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك. وقال الزجاج¹: قوله: { ثم كان

¹ - أبو إسحاق الزجاج البغدادي النحوي، من أهل العلم والأدب والدين (241-311هـ)، له "معاني القرآن" " ما ينصرف وما لا ينصرف" تعلم على يده المبرّد وثعلب. عن ويكيبيديا

الفصل الثاني

من الذين آمنوا { البلد [17] يدل على معنى فلا اقتحم العقبة، ولا آمن. قلتُ: وذهب قوم إلى قوله تعالى: { فلا اقتحم } تحضيض بمعنى: فألا.

ذكره ابن عطية¹، وقيل هو الدعاء، والمعنى أنه ممن يستحق أن يدعى عليه أنه لا يفعل خيراً².

يظهر في كلام المرادي هذا قوتان إنجازيتان لحرف "لا النافية" هما: التحضيض والدعاء. ولتوضيح هاتين القوتين الإنجازية لحرف لا النافية في الآية الكريمة لا بدّ أن نستعرض كلام المفسرين فيها وتأويلاتهم لها.

قال القرطبي: "فهلأ أنفق ماله الذي يزعم أنه أنفقه في عداوة محمد، فهلأ أنفقه لاقتحام العقبة فيأمن ! والاقترحام: الرمي بالنفس في شيء من غير رويّة يقال منه: قحم في الأمر قحومًا، أي: رمى بنفسه فيه من غير رويّة. وقحم الفرسُ فارسه تقحيمًا على وجهه: إذا رماه. وتقحيم النفس في الشيء: إدخالها فيه من غير رويّة، والقُحمة بالضمّ: المهلكة، والسنة الشديدة. يقال: أصابت الأعراب القحمة: إذا أصابهم قحط، فدخلوا الريف. والقُحم: صعب الطريق.

وقال الفراء³ و الزجاج: وذكر "لا" مرّة واحدة، والعرب لا تكاد تفرد "لا" مع الفعل الماضي في مثل هذا الموضع، حتى يعيدوها في كلام آخر، كقوله

¹ - أبو محمد عبد الله عطية الأندلسي (481-541هـ) فقيه مفسر ولغوي وأديب له: "المحرر الوجيز" "فهرس بن عطية".

² - المرادي، الجني الداني، ص298-299.

³ - أبو زكرياء يحيى بن زياد بن منظور بن مروان الأسلمي الديلمي الكوفي (144-207هـ)، من مصنفاته "المصادر في القرآن" "كتاب المقصور والممدود".

تعالى: { فلا صدق ولا صلى } القيامة [31]، { ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون } [البقرة62]، وإنما أفردوها لدلالة آخر الكلام على معناها: فيجوز أن يكون قوله: { ثم كان من الذين آمنوا } قائماً مقام التكرير كأنه قال: فلا اقتحم العقبة ولا آمن، وقيل هو جار مجرى الدعاء، قوله: لا نجا ولا سلم.

{ وما أدراك ما العقبة } قال سفيان بن عيينة¹: " كل شيء قال فيه: { وما أدراك } فإنه أخبر به، وكل شيء قال فيه: وما يدريك فإنه لم يخبر به، وقال: معنى { فلا اقتحم العقبة } أي: فلم يقحم العقبة، كقول زهير²:

وكان طوى كشحاً على مُسْتَكْنَةٍ فلا هو أبداها ولم يتقدم

أي: فلم يبدها ولم يتقدم، كذا قال المبرد وأبو عليّ: "لا" بمعنى: لم، وذكره البخاري عن مجاهد: أي فلم يقحم العقبة في الدنيا، فلا يحتاج إلى التكرير ثم فسّر العقبة وركوبها فقال:

{ فك رقية } وكذا وكذا، فبين وجودها من القرب المالية، وقال ابن زيد وجماعة من المفسرين: معنى الكلام الاستفهام الذي معناه الإنكار تقديره: أفلا اقتحم العقبة، أو هلاً اقتحم العقبة، يقول: هلاً أنفق ماله في فك الرقاب، وإطعام السبغان: ليجاوز به العقبة، فيكون خيراً له من إنفاقه في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم.

¹ - سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم الهلالي (107-198هـ)، إمام ومحدث شهير.
² - زهير بن أبي سلمة (520-609هـ)، أحد أشهر شعراء العرب وحكيم الشعراء في الجاهلية. عن ويكيبيديا

ثم قيل: اقتحام العقبة ها هنا ضربٌ مثلٌ، أي: هلاًّ تحمل عظام الأمور في إنفاق ماله في طاعة ربّه، والإيمان به، وهذا إنّما يليق بقول من حمل { فلا اقتحم العقبة } على الدّعاء.

أي: فلا نجا ولا سلم من لم ينفق ماله في كذا وكذا¹.

يظهر في كلام القرطبي جلياً القوّة الإنجازية للنفي بـ "لا" وهي التحضيض: فهلاًّ أنفقه لاقتحام العقبة، وكذلك الدّعاء: هو جار مجرى الدّعاء.

ويقول أبو حيّان الأندلسي: " { فلا اقتحم العقبة } أي: لم يشكر تلك النّعم السابقة، والعقبة استعارة لهذا العمل الشاق على النفس من حيث هو بذل مال، تشبيهه بعقبة الجبل، وهو ما صعب منه، وكان صعوداً، فإنه يلحقه مشقة في سلوكها، واقتحمها: دخلها بسرعة وضغط وشدّة، والقحمة: الشدة والسنة الشديدة، ويقال قحم في الأمر قحوماً: رمى نفسه فيه من غير رويّة، والظاهر أن "لا" للنفي، وهو قول: أبي عبيدة² والفراء والزجاج، كأنه قال: وهبنا له الجوارح ودللناه على السبيل، فما فعل خيراً، أي: فلم يقتحم، قال الفراء والزجاج: ذكر "لا" مرّة واحدة، و العرب لاتكاد تفرد "لا" مع الفعل الماضي حتى تعيد، كقوله تعالى: { فلا صدق ولا صلى }، وإنّما أفردها لدلالة آخر الكلام على معناه، فيجوز أن يكون قوله: { ثم كان من الذين آمنوا } قائماً مقام التكرير، كأنه قال: فلا اقتحم العقبة ولا آمن، وقيل: هو جار مجرى

¹ - ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص297-298-299.

² - أبو عبيدة معمر بن المثنى (110-209هـ)، أحد أشهر شعراء العرب وعالم باللغة من أهل البصرة له "مجاز القرآن" "مآثر العرب" "الشوارد". عن ويكيبيديا

الفصل الثاني

الدعاء، كقوله: "لا نجا ولا سلم، دعا عليه أن يفعل خيراً، وقيل: هو تحضيض ب"ألا" ولا نعرف أن "لا" وحدها تكون للتحضيض، وليس معها الهمزة"¹.

والذي يعيننا من كلام المفسر أبي حيان قوله: "هو جار مجرى الدعاء، وقوله: قيل هو تحضيض، ومع أنه استبعد التحضيض بالنفي وردّه إلى الاستفهام بالهمزة المحذوفة والتي تتحول إلى حرف التحضيض "ألا"، إلا أنه وارد، وقد ذكره غيره، ولو كان مستبعداً حقيقة لما ذكره أبداً.

ويقول الطاهر بن عاشور: "يجوز أن يكون فلا اقتحم العقبة" تفرّج إدماج بمناسبة قوله: { **وهديناه النجدين** } أي هديناه طريقين فلم يسلك النجد الموصل إلى الخير.

ويجوز أن يكون تفرّجاً على جملة يقول: { **أهلكت مالا لبدأ** } وما بينهما اعتراضاً وتكون: { **لا اقتحم العقبة** } استفهام حذف منه أدواته. وهو استفهام إنكار. والمعنى: أنه يدّعي إهلاك مال كثير في الفساد من ميسر وخمر ونحو ذلك. أفلا أهلكه في القرب والفضائل بفك الرقاب وإطعام المساكين في زمن المجاعة فإنّ الإنفاق في ذلك لا يخفى على الناس خلافاً لما يدعيه من إنفاق.

¹ - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، 2010، ج 10، ص 482.

وعلى هذا الوجه لا يَعْرُضُ الإشكال بعدم تكرر "لا" فإن شأن "لا" النافية إذا دخلت على فعل المُضِي ولم تتكرر أن تكون للدعاء إلا إذا تكررت معها مثلها معطوفة عليها نحو قوله: **{ فلا صدق ولا صلى }** أو كانت "لا" معطوفة على نفي نحو: ما خرجتُ ولا ركبتُ، فهو في حكم تكرير "لا"، وقد جاءت هنا نافية في غير الدعاء، ولم يتكرر استغناءً على تكريرها بكون ما بعدها وهو **{ اقتحم العقبة }** يتضمن شيئين جاء بيانهما في قوله: **{ فك رقبة أو إطعام }** فكأنه قال: فلا فك رقبة ولا أطعم يتيماً أو مسكيناً، ويجوز أن يكون عدم تكرير "لا" هنا استغناءً بقوله: **{ ثم كان من الذين آمنوا }** فكأنه قيل: فلا اقتحم العقبة ولا آمن.

ويظهر أنّ كل ما يصرف عن التباس الكلام كاف عن تكرير "لا" كاستثناء في قول الحريري في المقامة الثلاثين: "لا عقد هذا العقد المبجل في هذا اليوم الأغرّ المحجل إلا الذي جال وجاب... الخ وأطلق **{ العقبة }** على العمل الموصل للخير لأنّ عقبة النجد أعلى موضع فيه، ولكل نجد عقبة ينتهي بها، وفي العقبات تظهر مقدره السابرة.¹

والاقتحام: الدّخول العسير في مكان أو جماعة كثيرين يقال: "اقتحم الصّف، وهو افتعال للدلالة على التكلف مثل اكتسب، فشبه تكلف الأعمال الصالحة باقتحام العقبة في شدته على النفس ومشقته قال تعالى: **{ وما يلقأها إلا الذين صبروا }**.

¹ - ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ج28، ص355 و 356.

والاقتحام ترشيح لاستعارة العقبة لطريق الخير، وهو مع ذلك استعارة لأن تزاحم الناس إنما يكون في طلب المنافع: 'والمورد العذب كثير الزحام'.

وأفاد نفي الاقتحام أنه عدل على الاهتداء إيثاراً للعاجل على الآجل ولو عزم وصبر لاقتحم العقبة، وقد تتابعت الاستعارات الثلاث: النجدين، والعقبة والاقتحام، وبني بعضها على بعض وذلك من أحسن الاستعارات وهي مبنية على تشبيه المعقول بالمحسوس. والكلام مسوق مساق التوبيخ على عدم الاهتداء للأعمال الصالحة مع قيام أسباب الاهتداء من الإدراك والنطق¹.

وهنا يدخل الطاهر بن عاشور قوة إنجازيه الثالثة بعد التحضيض والدعاء، وهي **التوبيخ** أي أن النفي بـ "لا" لا يراد لذاته بل يراد به توبيخ المفلسين الغافلين على تفريطهم في العمل الصالح الذي يكون عوناً على اجتياز أهوال الآخرة، ثم يوضح هذه القوة الإنجازية الثالثة لـ "لا" النافية بقوله: "فيصير تقدير الكلام : فلا اقتحم العقبة بفك رقبة أو إطعام بعد كونه مؤمناً، وفي الفعل "كان" إشعار بأن إيمانه سابق على اقتحام العقبة المطلوبة فيه بطريقة التوبيخ على انتفائها عنه"².

وقال السيوطي: "أخرج ابن جرير عن ابن زيد³: { فلا اقتحم العقبة } قال: ألا أسلك الطريق التي فيها النجاة والخير"¹، وفي كلام ابن زيد تأويل واضح للنفي وحمل جلي على التحضيض بأداته الواضحة "ألا".

¹ - ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 28، ص 357.

² - نفس المرجع، ص 360.

³ - عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت 182هـ)، صاحب قرآن وتفسير. عن ويكيبيديا

ويخلص لدينا من كلام المفسرين واللغويين أن النفي بـ "لا" في قوله تعالى:
{ **فلا اقتحم العقبة** } له ثلاث قوى إنجازية هي: **الدعاء، التحضيض،**
التوبيخ.

➤ القوة الإنجازية الأولى: **الدعاء**

قول المرادي: " في النَّفي في آية البلد: { **فلا اقتحم العقبة** } والمعنى أنه ممن يستحق أن يدعى عليه بأنه لا يفعل خيراً " ² ليس غريباً لأن الخبر بنفي أو غيره قد يكون الغرض منه دعاءً، ومثله، كما قال المبرّد³: " تقول: غفر الله لزيد، واللفظ لفظ الإخبار والمعنى معنى الدعاء ومثله كذلك: { **إياك نعبد وإياك نستعين** } أي: أعنّا على عبادتك "⁴. ويكون الفعل الكلامي الكامل كالاتي:

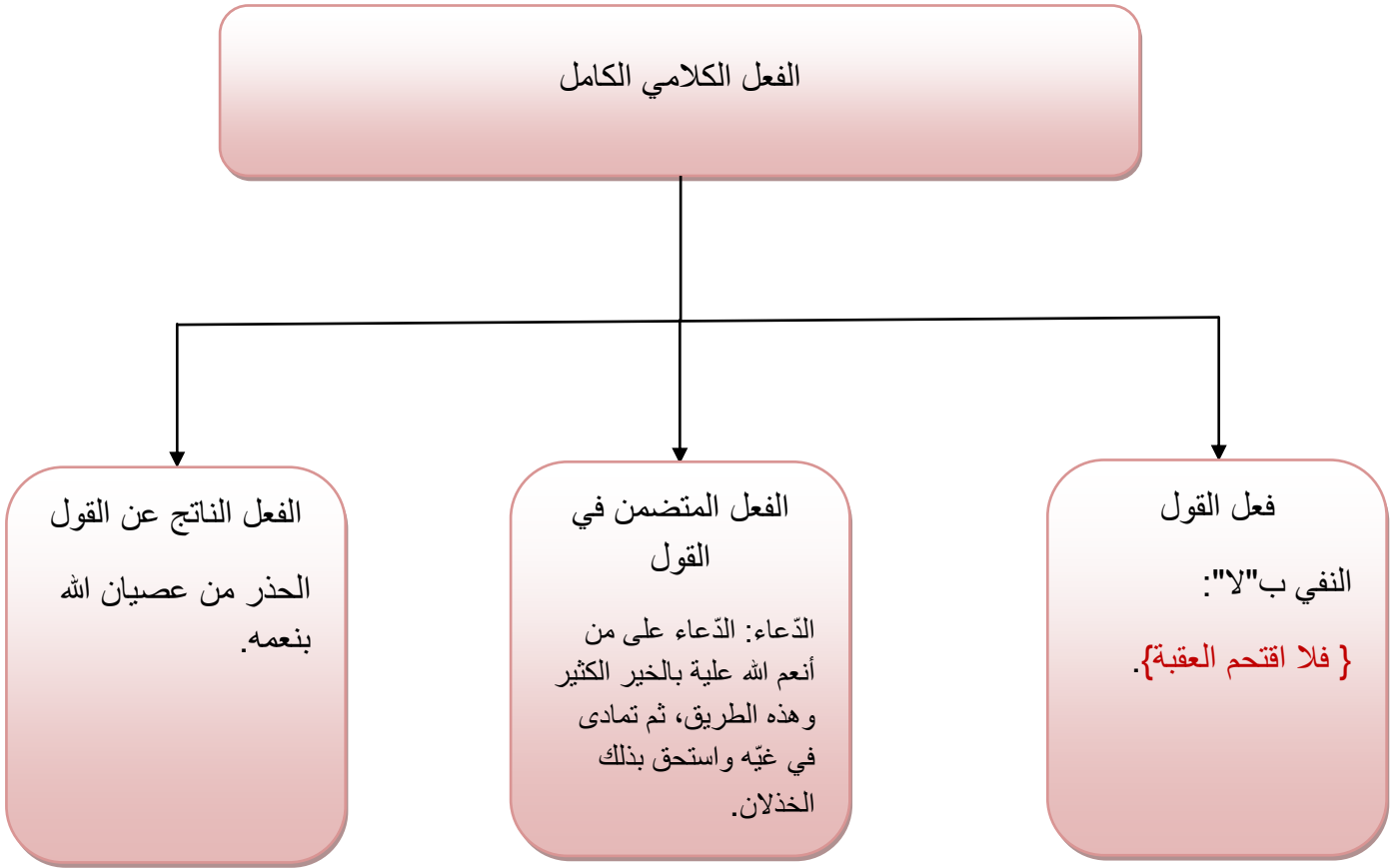
¹ - جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2011م، د.ط، ج 8، ص 523.

² - المرادي، الجنى الداني، ص 299.

³ - أبو العباس المبرّد (210-286هـ)، له "الكامل" "المغضب" و"غيرهما".

⁴ - أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، ص 470.

الفعل الكلامي الكامل



➤ القوة الإنجازية الثانية: التحضيض

التحضيض: هو طلب حصول أمر ما، وهو كالعرض في كون كلٍّ منهما طلباً. إلا أنّ التحضيض طلب بحثٍ وإلحاح والعرض الطلب بلين ورفق. كما أنّ التحضيض ينطوي على مبالغة في الحض. فيقال حضّه على كذا. أي: رغبه في فعله. فإذا أريد تأكيد الترغيب والمبالغة فيه قيل: حضّضه. وأدوات التحضيض: لولا ولوماً وألاً وهلاً وألاً المخففة في قول. وعند ذلك تختصّ هذه الأدوات بالجملة الفعلية. وذلك نحو قوله تعالى: { لولا تستغفرون الله }

النمل [46]. ونحو: { لولا أنزل علينا الملائكة } الفرقان [21]. ونحو: { ألا تقاتلون قوما ما نكثوا أيمانهم } التوبة [13]. وقد ذكر سيبويه أن هذه الأدوات تكون للتحضيض سواء أوليها ماضٍ أو مضارع. وقد فصل ابن بابشاذ¹ القول في ذلك بقوله: إن وليها المستقبل كانت تحضيضاً للفاعل على الفعل ليفعله نحو: هلاً تضرب اللص وإن وليها الماضي كانت تويخاً لا تحضيضاً لامتناع طلب الماضي نحو: لولا ضربت اللص، أي: لأي شيء ما ضربته، وقد اختلف في كون "ألا" مخففة أداة من أدوات التحضيض، وعلى الرغم من قول مالك في ألفيته:

وبهما التَحْضِيضُ وهَلًا

إلاّ ألاّ وأوليينها فعلاً

فقد اعتبرها النحاة أداة عرض لا تحضيض، وكون ابن مالك ذكرها ضمن أدوات التحضيض لا يعني تمحيضها لذلك، بل هي على الأرجح ملحقة بأدوات التحضيض لمشاركتها لهنّ في الاختصاص بالفعل وقرب معناها من معناه².

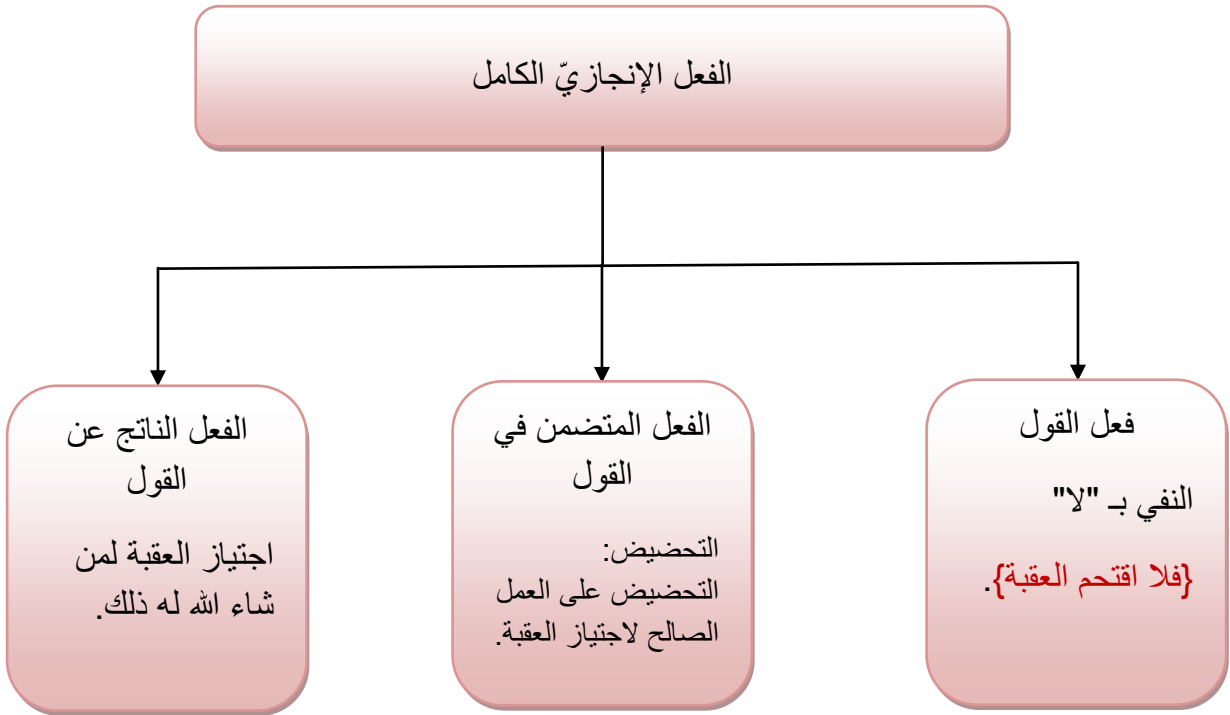
في الآية الكريمة يظهر معنى التحضيض جلياً، فبعد أن ذكر الله تعالى الإنسان بنعمه، امتنّ عليه بعينين ولسان وشففتين، وأرشده الصراط المستقيم، وفصل له طريق الشيطان وسبله، طلب منه العمل الصالح طلباً شديداً، لأنّه

¹ - هو أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ. نحوي مصري اشتهر في زمن الدولة الفاطمية.

² - محمد سمير اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص 64.

إن لم يفعل أهلكته العقبة، وقد قيل أن العقبة هي نار جهنم¹ نفسها، فكيف لا يكون الطلبُ هذا تحضيضاً.

■ أما الفعل الإنجازي الكامل فهو كالآتي:



➤ القوة الإنجازية الثالثة: التوبيخ

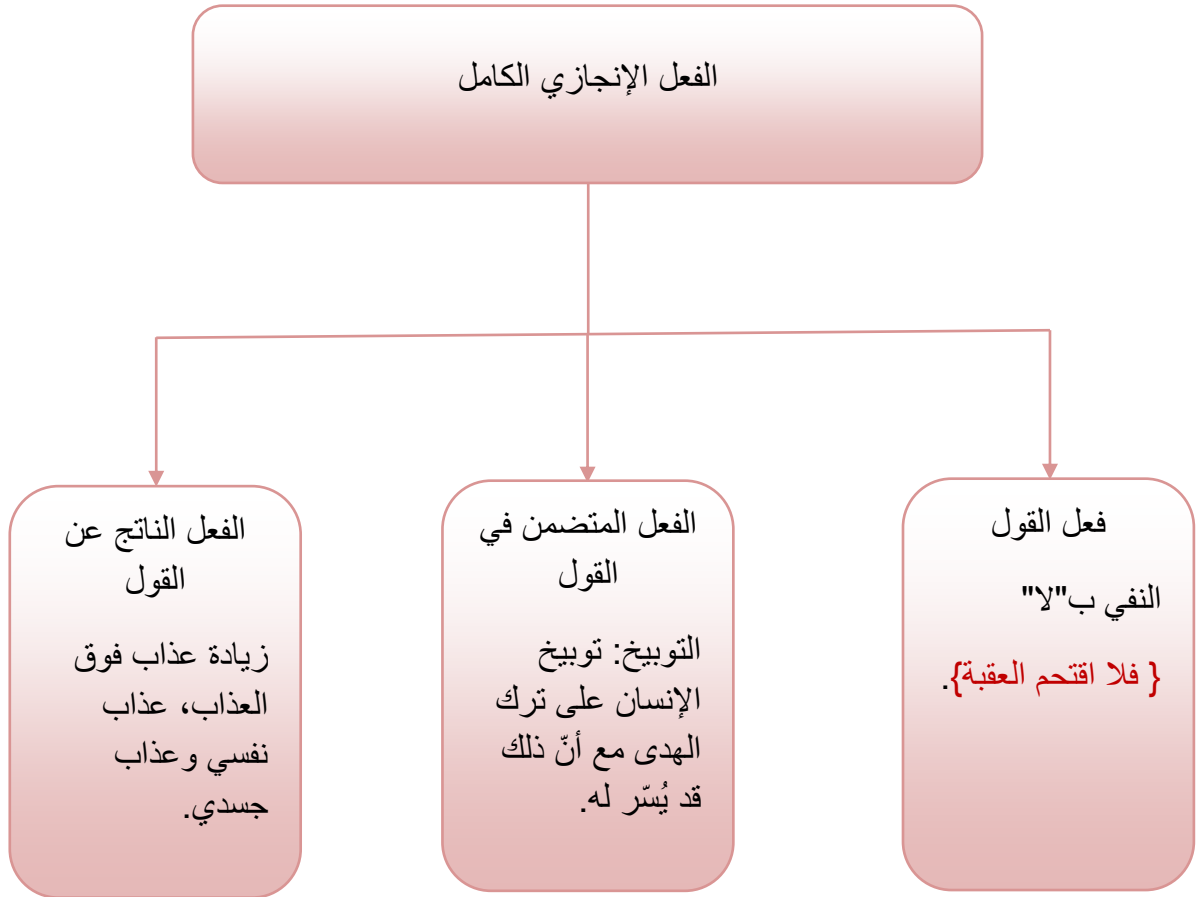
التوبيخ: وهو " الملامة، وبّخه بسوء فعله"². وتظهر هذه القوة الإنجازية في النفي بـ "لا" من قول الطاهر بن عاشور: "والكلام مسوق مساق التوبيخ على عدم الاهتداء مع قيام أسباب الاهتداء من الإدراك والنطق"³.

¹ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 22، ص299.

² - صاحب بن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق الشيخ محمد آل ياسين، ط 1، 1994، عالم الكتب بيروت، ج4، ص428.

³ - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص357.

■ ويكون الفعل الإنجازي الكامل كالتالي:



- القوى الإنجازية في حرف "لا" النّاهية

يقول المرادي: "وأما لا النّاهية فحرف، يجزم الفعل المضارع، ويخلصه للاستقبال، نحو: { لا تخافي ولا تحزني } القصص [07]. وترد للدعاء نحو: { لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا } البقرة [286]، ولذلك قال بعضهم: " لا الطلبيّة"¹.

¹ - المرادي، الجنى الداني، ص300.

الفصل الثاني

قول المرادي: " ترد للدعاء " قوة إنجازيه متضمنة في النهي، والنهي أسلوب إنشائي يطلب به المتكلم من المخاطب الكفّ عن فعل الشيء وإتيانه، والأصل فيه أن يصدر ممن هو أعلى. وإن صدر من المساوي فهو التماس وإن صدر من الأقل فهو دعاء.

وقد يخرج إلى معان أخرى يعينها السياق والقارئ، ويتحقق النهي بأداة خاصة به وهي "لا" الناهية نحو: { لا تشرك بالله } لقمان [13] وهي من جوارم الفعل المضارع التي تجزم فعلاً واحداً.

ويقع النهي من المتكلم للمخاطب كالمثال السابق، ولا يقع من المتكلم للمتكلم، أي لا ينهى الإنسان نفسه إلا نادراً، وقد ورد مثل هذا في قول النابغة الذبياني¹:

لا أعرفن ربياً لاحورا مدامعها

مردفات على أعقاب أكوار

وقول الوليد بن عقبة²:

إذا ما خرجنا من دمشق فلا نعد

لها أبداً ما دام فيها الجراضم³

¹ - زياد بن معاوية بن ضباب المري الذبياني (535-604 م) شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات. عن ويكيبيديا

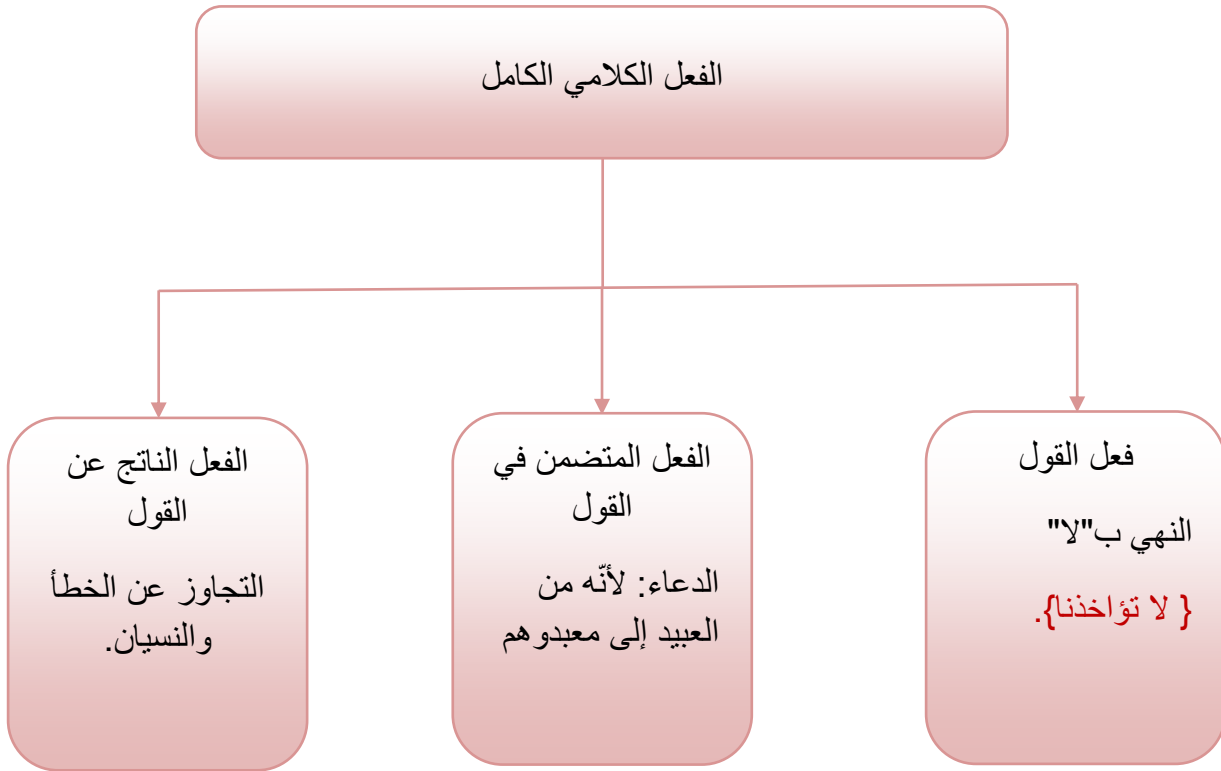
² - الوليد بن عقبة بن أبي معيط (680م).

³ - محمد سمير نجيب البدي، معجم المصطلحات النحوية، ص232.

الفصل الثاني

وبما أن النهي هنا في قوله تعالى: { لا تؤاخذنا } قد ورد من العبيد إلى معبودهم فهو دعاء خالص، وهو قوة النهي الإنجازية في هذه الآية الكريمة.

■ ويكون الفعل الكلامي هنا كالتالي:



- القوى الإنجازية في حرف "من" الزائدة

"من": حرف جر يفيد عدّة معاني منها: ابتداء الغاية أو انتهاؤها، التبويض، بيان الجنس، البديل.... ولا يمكن اعتبار هذه المعاني قوى إنجازية لأنها أفعال مباشرة ظاهرة في الكلام، ولا تكون القوى الإنجازية إلا للمعاني العميقة والخفية لبنية الكلام، وذلك ما نجده في "من" الزائدة، وهي التي يكون دخولها في الكلام كخروجها¹، أي أنّ حذفها لا يفسد الجملة كقولك مثلا: ما رأيتُ من أحد، فنقول عند الحذف: ما رأيتُ أحداً، وتعرب من أحد : من : حرف جر زائد، وأحد: مفعول به مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنّه مفعول به، وهو كقولك: ما رأيتُ أحداً، وتظل "أحداً" مفعول به في كلا الجملتين. أما زيادتها فهي توكيد، وهذا التوكيد هو القوة الإنجازية الكامنة في زيادتها.

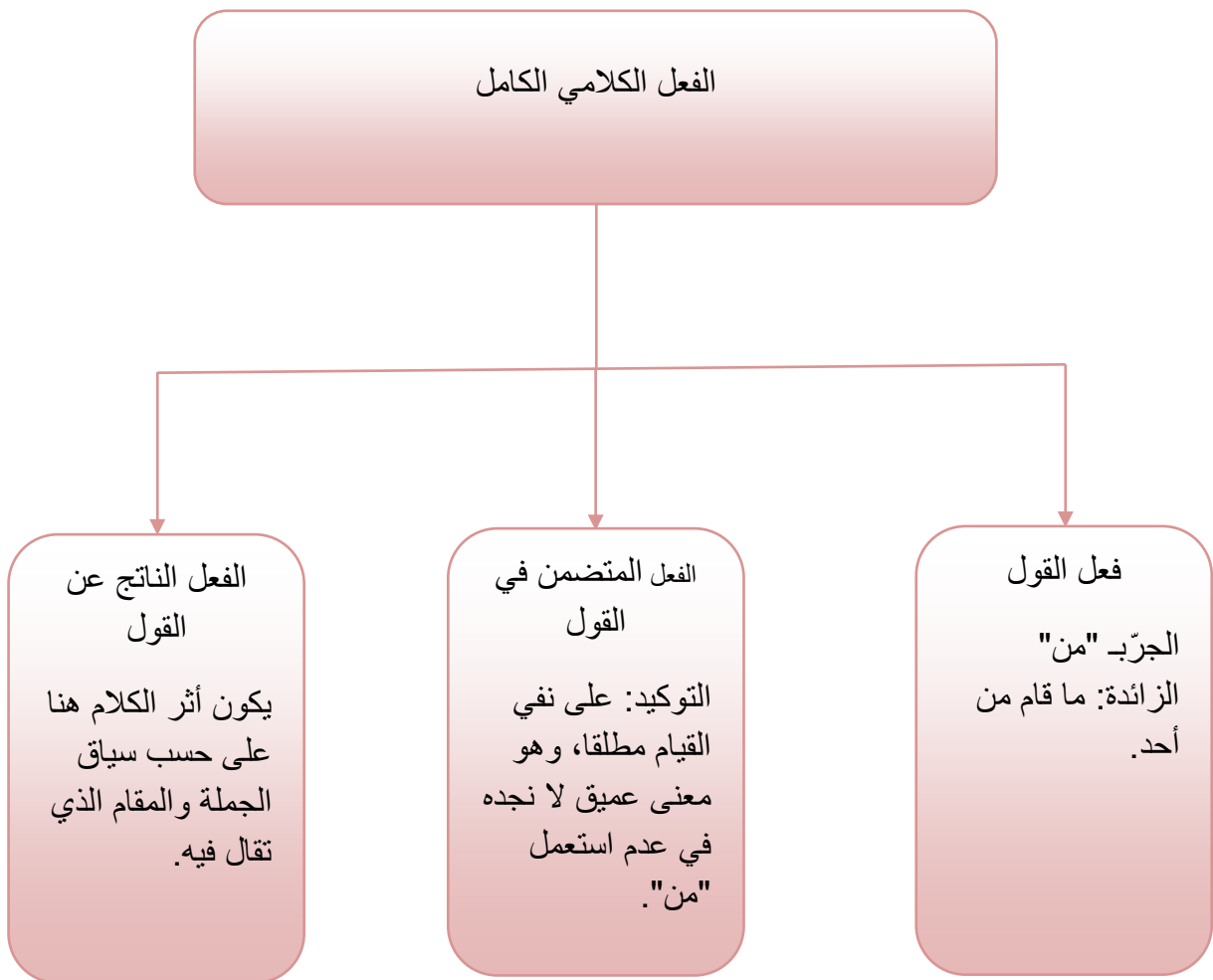
يقول المرادي: "وتسمى الزائدة لتوكيد الاستغراق، وهي الداخلة على الأسماء، الموضوعة للعموم، وهي كل نكرة مختصة بالنفي نحو: ما قام من أحد، فهي مزيدة هنا، لمجرد التوكيد لأنّ "ما قام من أحد" و"ما قام أحد" سيان في إفهام العموم"².

¹ - المرادي، الجنى الداني، ص316.

² - نفس المرجع، ص316.

فالجر بـ "من" في مثل هذه الحالة وهذا الموضع لا يراد لذات الجر، وإنما يخفي وراءه معنى عميق وغرضاً مراداً والذي هو التوكيد ومثل هذا في القسم الذي لا يعدو أن يكون تأكيداً للكلام أو إباحاً في الطلب¹.

■ والفعل الكلامي الكامل لدينا في مثل هذه الحالة هو:



¹ - ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص270.

الفصل الثاني

وقد فصل العلماء القول في زيادة "من" وبينوا شروط زيادتها ومواضعه على اختلاف بينهم يسير، فعدها سبويه وجمهور البصريين لا تزداد إلا بشرطين:

الأول: أن يكون ما قبلها غير موجب، وهو النفي والنهي والاستفهام بـ "هل" نحو: لا يقيم من أحد، وأجاز بعضهم زيادتها في الشرط.

الثاني: أن يكون مجرورها نكرة.

وعند الكوفيين أن شرط زيادتها واحد فقط، وهو تتكثير مجرورها¹، ومثال هذه القوة الإنجازية نجده في قول الشاعر²:

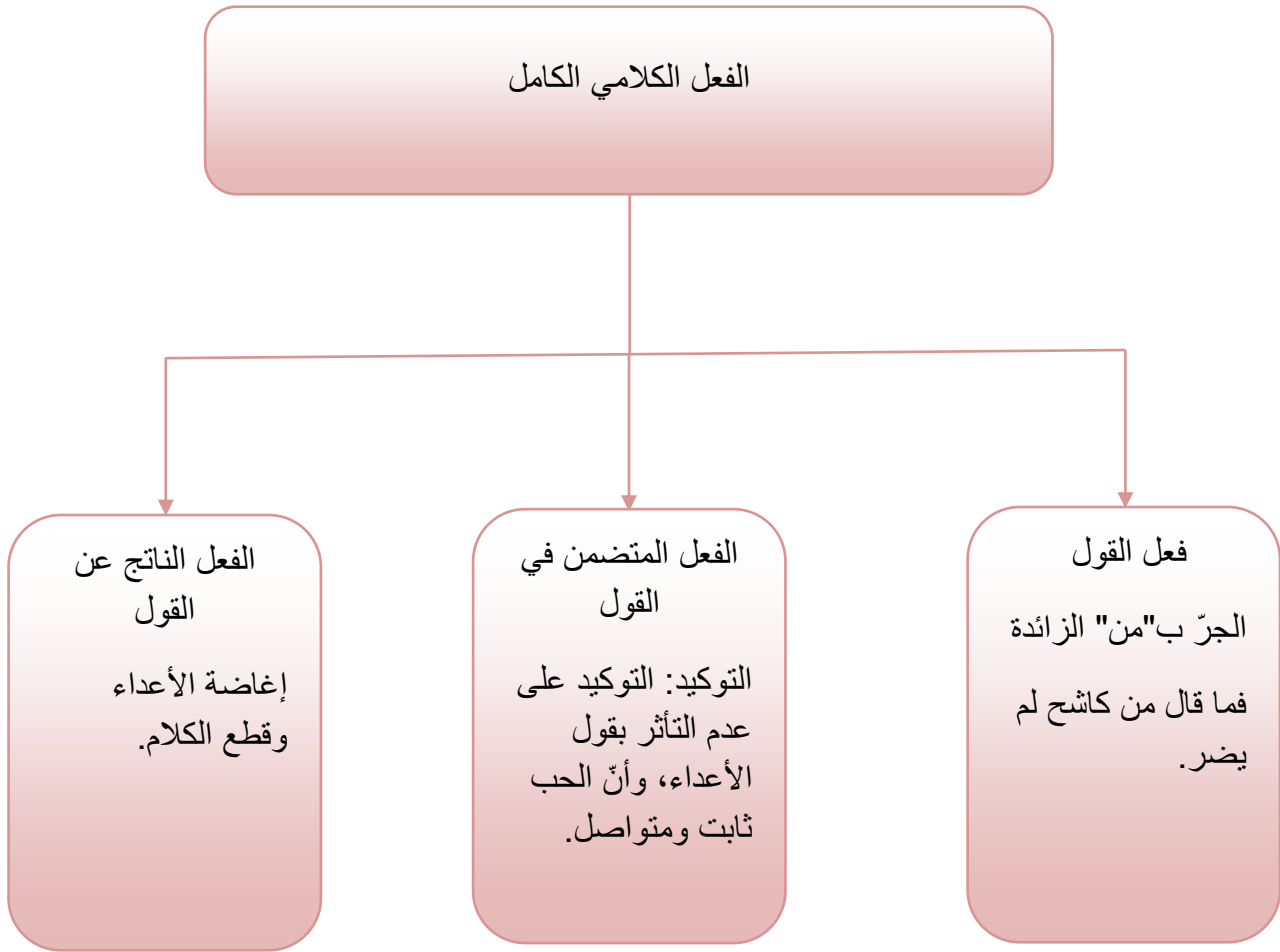
وينمي لها حبها عندنا فما قال من كاشح لم يضر

فقوله "كاشح" فاعل مجرور لفظا مرفوع محلا لأنه فاعل وزيادة "من" بين الفعل والفاعل لأجل التوكيد أي: مهما قيل ومهما كان القائل فلن يضيرنا كلامه، وحبها عندنا في زيادة لن يتأثر بقول الأعداء المبغضين .

■ ويكون الفعل الكلامي الكامل هنا كالاتي:

¹ ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص317-318.

² عمر بن أبي ربيعة المخزومي العاشق (23-93هـ)، عرف بالغزل والنوادر، وهو من طبقة جرير والفرزدق والأخطل. عن وكبيديا



- القوى الإنجازية في حرف "ما" الزائدة

وقد جعلها المرادي أربعة أقسام: زائدة لمجرد التوكيد، الكافّة، والتي تكون عوضاً، والمنبّهة على وصف لائق¹. والتي تعيننا هنا هي: الزائدة للتوكيد والمنبّهة على وصف لائق، لأن التوكيد والتنبيه قوتان إنجازيتان لهذا الحرف.

ومثال ورودها لمجرد التوكيد قوله تعالى: {فبما رحمة من الله} {ال عمران 195} ورد في تفسير الطاهر بن عاشور: "الفاء للتفريع على ما اشتمل عليه الكلام السابق الذي حُكي فيه مخالفة طوائف لأمر الرسول عليه الصلاة والسلام من

¹ - ينظر: المرادي، الجني الداني، ص333-334.

الفصل الثاني

مؤمنين ومنافقين، وما حُكي من عفو الله عنهم فيما صنعوا، ولأن في تلك الواقعة المحكية بالآيات السابقة مظاهر كثيرة من لين النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين حيث استشارهم في الخروج، وحيث لم يثربهم على ما صنعوا من مغادرتهم مراكزهم، ولمّا كان عفو الله عنهم يُعرف في معاملة الرسول إيّاهم، ألان الله لهم الرسول تحقيقاً لرحمته وعفوه، فكان المعنى: ولقد عفا الله عنهم برحمته فلان لهم الرسول بإذن الله وتكوينه إيّاه راحماً، قال تعالى: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} .

والباء للمصاحبة، أي لنت مع رحمة الله: إذ لينه في ذلك كله ليناً لا تفريط معه لشيء من مصالحهم، ولا مجاراة لهم في التساهل في أمر الدين وتقديم المجرور المفيد للحصر الإضافي، أي: برحمة الله لا بغير ذلك من أحوالهم، وهذا القصر مفيدٌ التعريض بأن أحوالهم كانت مستوجبة الغلظ عليهم، ولكن الله ألان خلق رسوله رحمة بهم، لحكمة علمها الله في سياسة هذه الأمة.

وزيدت "ما" بعد الجرّ لتأكيد الجملة بما فيها من القصر، فتعيّن بزيادتها كون التقديم للحصر، لا لمجرد الاهتمام، ونبّه عليه في الكشف¹.

جاء في الكشف: "ما" مزيدة للتوكيد والدلالة على أنّ لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله

¹ - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص 144.

ونحوه: { فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم } النساء [155]، ومعنى الرحمة : ربطه على جأشه وتوفيقه المرفق، والتلطف بهم، حتى أثابهم غماً بغمٍّ، وآسأهم بالمثابة بعد ما خالفوه وعصوا أمره وانهزموا وتركوه {ولو كنت فظاً جافياً {غليظ القلب} قاسيه } لانفضوا من حولك } لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم { فاعف عنهم } فيما يختص بك { واستغفر لهم } فيما يختص بحق الله إتماماً للشفقة عليهم { وشاورهم في الأمر } يعني: في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم، ولما فيه من تطيب نفوسهم والرفع من أقدارهم، وعن الحسن 'رضي الله عنه': قد علم الله أنّ ما به إليهم حاجة، ولكنه أراد أن يستنّ به من بعده.¹

- القوى الإنجازية في حرف " هل "

1. قوة النفي :

" هل " حرف استفهام تدخل على الأسماء و الأفعال لطلب التصديق الموجب , لا غير و قد يراد بالاستفهام بها النفي نحو قولك : هل يقدر على ذلك غيري ؟ أي : ما يقدر . ويعين ذلك دخول " إلا " نحو : { وهل ناجزي إلا الكفور } [سبأ 17] .²

و قوله تعالى : { و هل ناجزي إلا الكفور } بيان منه تعالى أنّ العقوبة الشديدة لا تلحق إلاّ بأمثال أولئك الكفرة الذين قابلوا نعم الله الجزيلة بالجحود

¹ - جار الله الزمخشري، الكشاف، ص202.
² - ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص341 و342.

الفصل الثاني

و الكفران ، فأرسل الله عليهم سيل العرم و أبدلهم بجنّتهم و أرضهم الطيبة
ثمرا مرّا و شوكا ، عقوبة شديدة لهم و عبرة لمن بعدهم .

قال القرطبي في تفسيره الجامع : " في هذه الآية سؤال ليس في هذه السورة
أشدّ منه و هو أن يقال : لم خصّ الله تعالى المجازاة بالكفور ، و لم يذكر
أصحاب المعاصي ؟ فتكلم العلماء في هذا ، فقال : ليس يجازى بهذا الجزاء
الذي هو الاصطلام و الإهلاك إلاّ من كفر .

و قال مجاهد : يجازى بمعنى يعاقب ، و ذلك لأنّ المؤمن يكفرّ الله تعالى
عنه سيئاته ، و الكافر يجازى بكلّ سوء عمله ، فالمؤمن يجزى و لا يجازى
لأنه يثاب .

و قال طاوس : هو المناقشة في الحساب . و أمّا المؤمن فلا يناقش
الحساب .

وقال قرطب خلاف هذا فجعلها في أهل المعاصي غير الكفار، و قال :
المعنى على من كفر بالنعم و عمل بالكبائر .

النحاس : و أولى ما قيل في هذه الآية و أجلّ ما روي فيها : أنّ الحسن
قال : مثلا بمثل .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : ((من حوسب هلك)) فقلت : يا نبي الله فأين قوله جلّ وعزّ : {
فسوف يحاسب حسابا يسيرا } [الانشقاق 8] ؟ قال : ((إنما ذلك العرض

ومن نوقش الحساب هلك)) . و هذا إسناد صحيح و شرحه : أنّ الكافر يكافأ على أعماله و يحاسب عليها و يحبط ما عمل من خير، و يبيّن هذا - في الأول - قوله تعالى : { ذلك جزيناهم بما كفروا } و في الثاني : { و هل يجازى إلا الكافرون } و معنى " يجازى " : يكافأ بكلّ عمل عمله " ¹ ومن هنا يستقيم لنا النفي في معنى الآية و يكون بمثابة الحصر ، حصر المكافأة التامة على كل الأعمال بالكفرة ، لأن المؤمن يغفر له عمله السيئ أو بعض عمله السيئ ولا يهلك هلاكاً تاماً بسبب أخطائه.

و يتضح لنا هذا النفي المراد من الاستفهام بقول الشيخ الطاهر بن عاشور في قوله : " والاستفهام في { وهل يجازى } إنكاري في معنى النفي كما دلّ عليه الاستثناء .

و الكفور : الشديد الكفر ، لأنهم كانوا لا يعرفون الله و يعبدون الشمس فهم أسوأ حالاً من أهل الشرك .

و المعنى : لا يجازى ذلك الجزاء إلا الكفور ، لأنّ ذلك الجزاء عظيم في نوعه ، أي : نوع العقوبات، فإنّ العقوبة من جنس الجزاء ، و المثوبة من جنس الجزاء ، فلمّا قيل : { ذلك جزيناهم بما كفروا } تعيّن أنّ المراد : و هل يجازى مثل جزائهم إلا الكفور ، فلا يتوهم أنّ هذا يقتضي أنّ غير الكفور لا يجازى على فعله ، ولا أنّ الثواب لا يسمّى جزاءً ، ولا أنّ العاصي

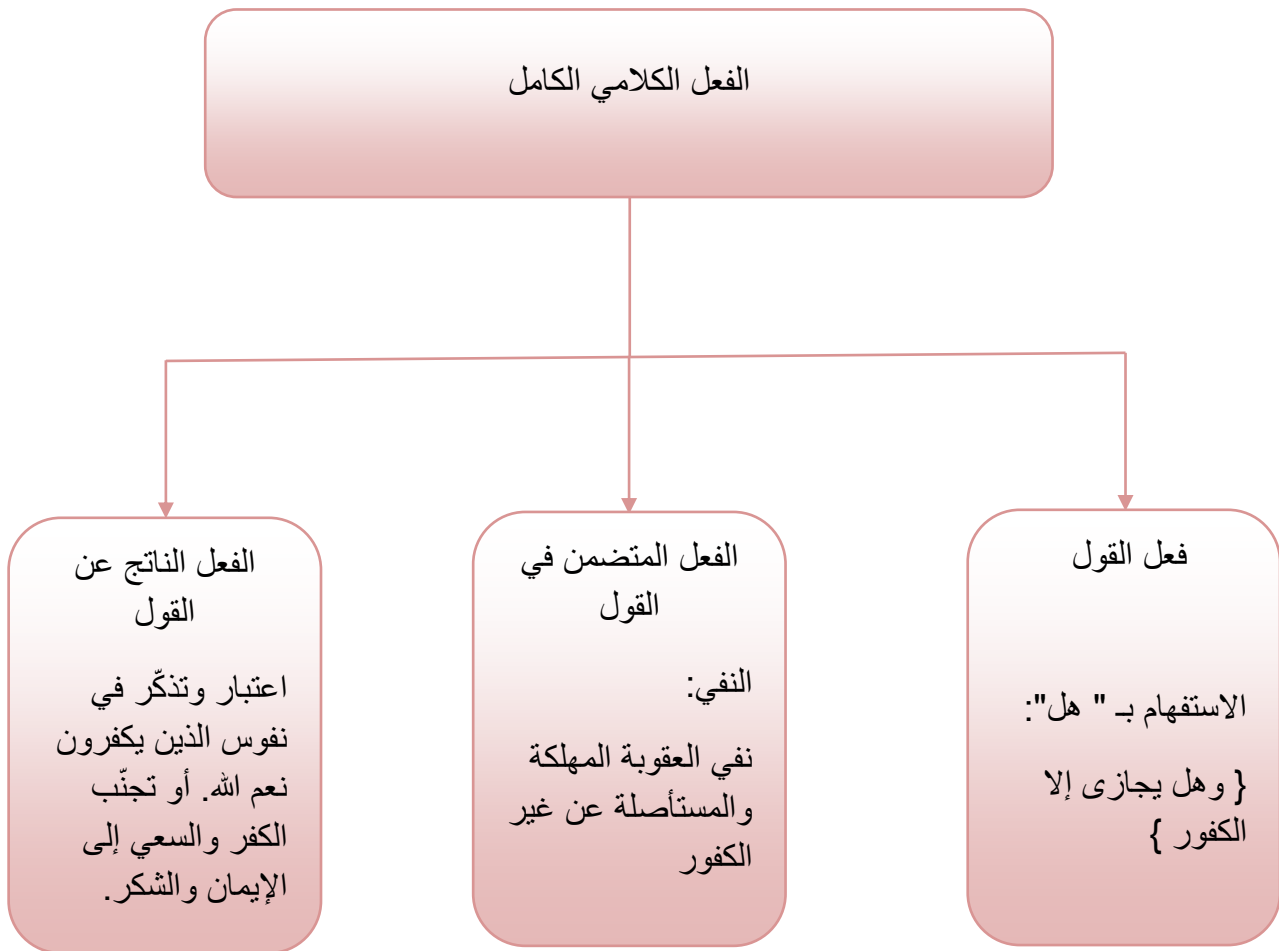
¹ - القرطبي، الجامع أحكام التفسير، ج17، ص297 و 298.

الفصل الثاني

المؤمن لا يجازى على معصيته ، لأنّ تلك التوهّمات كلّها مندفعة بما في اسم الاشارة من بيان نوع الجزاء، فإنّ الاستئصال و نحوه لا يجرى على المؤمنين .

وقرأ الجمهور { يجازى } بياء الغائب و البناء للمجهول و رفع { الكفور }
و قرأ حمزة و الكسائي بنون العظمة و البناء للفاعل و نصب { الكفور }¹ .

أما عن الفعل الكلامي الكامل فيكون كالتالي:



¹ - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج22، ص173 و 174

2. قوّة التحقيق بمعنى " قد " :

يقول المرادي عن " هل " : " أن تكون بمعنى " قد " . ذكر هذا قوم من النحويين منهم ابن مالك . و به قال الكسائي و الفراء و بعض المفسرين في قوله تعالى : { هل أتى على الإنسان حين من الدهر } [الإنسان 01] واستدلّ بعضهم على ذلك بقول الشاعر¹ :

سائل فوارس يربوع بشدّتها أهل رأونا بفسح القفّ ذي الأكم

فالمعنى : أقدر رأونا . ويدل على ذلك دخول الهمزة عليها² .

فالقوّة الإنجازية للهمزة هنا هي التحقيق بمعنى " قد " ، لأن قوله تعالى : { هل أتى على الإنسان حين من الدهر } ليس سؤالاً عمّا كان ذلك أو لم يكن ، بل هو تحقيق وإثبات للمعنى الوارد في الآية الكريمة .

يقول القرطبي عن قوله تعالى : { هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً } : " هل " بمعنى " قد " ، قاله الكسائي و الفراء و أبو عبيدة . وقد حُكي عن سبويه : " هل " بمعنى " قد " . قال الفراء : " هل " تكون جحداً . و تكون خبراً ، لأنك تقول هل أعطيتك ؟ تقرره بأنك أعطيته .

¹ - زيد الخيل، ويعرف بزید الخير، وهو زيد بن مهلهل أب مكنف الطائي النههاني المعروف بزید الخيل في الجاهلية، ثم سمّاه النبي صلى الله عليه وسلم بزید الخير.

² - المرادي ، الجنى الداني، ص344.

و الحمد أن تقول : هل يقدر أحد على مثل هذا ؟ وقيل : هي بمنزلة الاستفهام ، و المعنى : أتى¹ .

فالاستفهام في هذه الآية الكريمة خبر محقق . أمّا الحمد فهو قوة إنجازية أخرى ترجع إلى النفي كما ذكرناه سابقا .

ويقول الشيخ الطاهر بن عاشور مؤكداً هذه المعاني : { هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً } استفهام تقريرى، و الاستفهام من أقسام الخطاب، وهو هنا موجة إلى غير معيّن و مستعمل في تحقيق الأمر المقرر به على طريق الكناية، لأنّ الاستفهام طلب الفهم ، و التقرير يقتضي حصول العلم بما قرّر به، وذلك إيماء إلى استحقاق الله أن يعترف الإنسان له بالوحدانية في الربوبية إبطالا لإشراك المشركين .

وتقديم هذا الاستفهام لما فيه من تشويق إلى معرفة ما يأتي بعده من الكلام.

فجملته (هل أتى على الإنسان) تمهيد و توطئة للجملته التي بعدها وهي: (إنّنا خلقنا الإنسان من نطفة امشاج)².

ونلاحظ هنا أن الطاهر بن عاشور قد أضاف لنا قوة إنجازية أخرى لهذا الاستفهام تستفاد من قوله : " لما فيه من تشويق " فالتشويق قوة إنجازية للحرف " هل " إضافة إلى التحقيق، وهذا التداخل للقوى الإنجازية في الحرف

¹ - القرطبي، الجامع، ج21، ص444.

² - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص371.

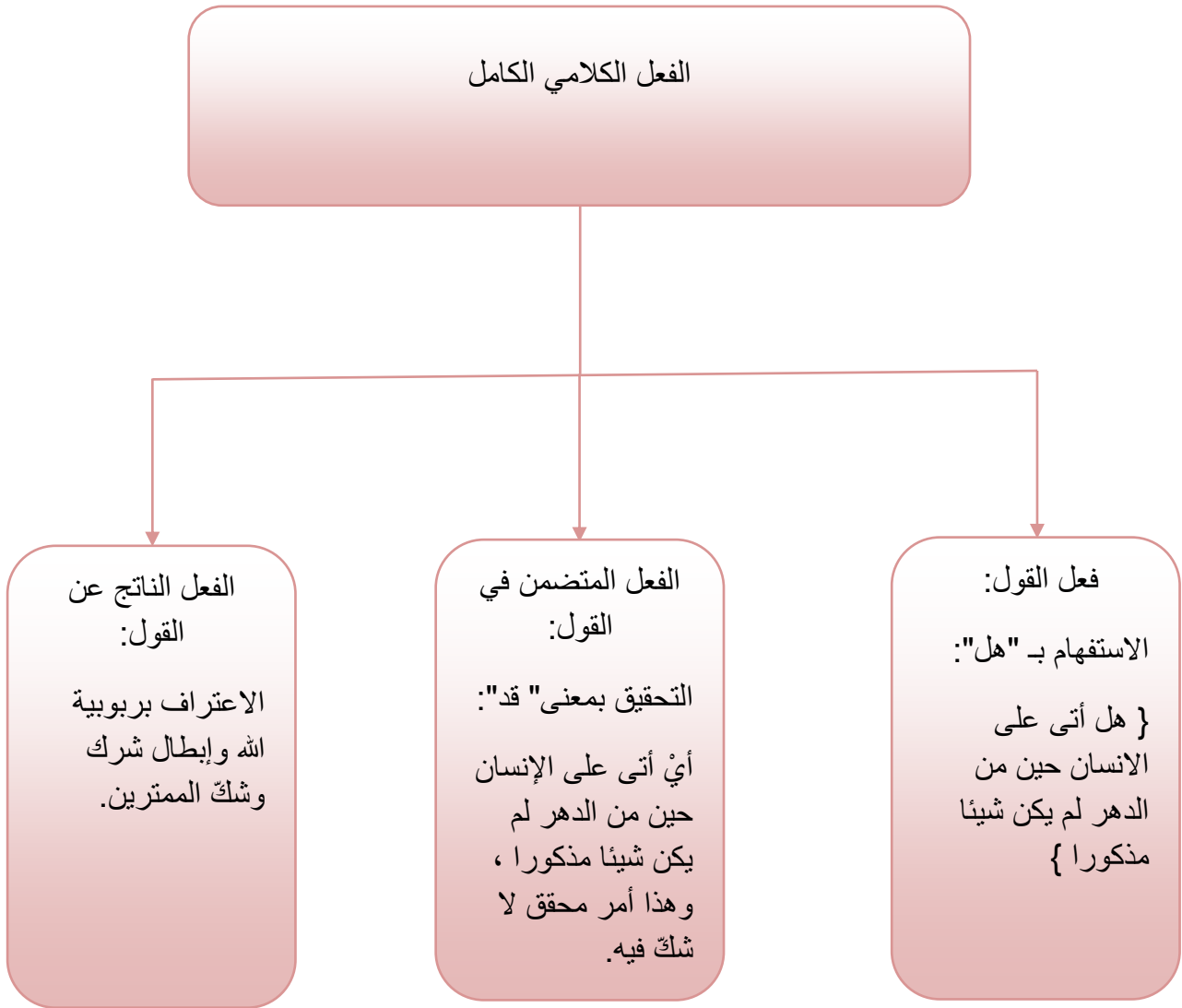
الواحد ، و في الجملة الواحدة يدلّ على قوّة هذه اللغة و قدرتها العالية في تحمّل شحنات دلالية عديدة في اللفظ الواحد وفي الجملة الواحدة ، و أنها قد استحكمت أن تحمل و تتحمّل كلام الله تعالى وتحسن التبليغ عن مراده .

كما نلاحظ في كلام الطاهر بن عاشور أنه قد ذكر الفعل الناتج عن هذا القول و هو اعتراف الإنسان لله بالوحدانية في الربوبية، و إبطال إشراك المشركين .

ويقول الزمخشري كذلك : " (هل) بمعنى " قد " في الاستفهام خاصة ، و الأصل " أهل " بدليل قوله : أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم، فالمعنى : " أقد أتى " على التقدير و التقرير جميعا ، أي : أتى على الإنسان قبل زمان قريب { حين من الدهر لم يكن } فيه { شيئا مذكورا } أي : كان شيئا منسيا غير مذكور نطفة في الأصلاب " ¹ .

أما عن الفعل الكلامي الكامل فهو كالاتي :

¹ - الزمخشري، الكشاف، ص1163.



أمّا عن البيت الشعري الذي يستدل به المرادي، و الذي يحمل نفس القوّة
الإنجازية للحرف " هل "، فقد قاله الشاعر في غارة أغارها على بني يربوع،
و هم قبيلة مشهورة، أغار عليهم فأصاب منهم وقتل وسبى ، ويروى هذا
البيت كذلك بـ :

سائل فوارس يربوع تشد بنا

أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم

و قوله " تشد بنا " بفتح الشين، و هي: الحملة، و يروي بكسرهما و هي: القوة و " السفح " اسم الجبل أو أسفله ينسحق فيه الماء ، و " القاع " : الأرض المستوية أي الصحراء، و " الأكم " جمع أكمة و هي: ما علا من الأرض دون الجبل، و الباء فيه لتضمين "سائل" معنى أهم، أو للسببية ، قوله " أهل رأونا" الخ كناية و تعريض معناه: أهل كنا غالبين أم هم؟ ، و فيه تعريض بأنهم كانوا من الحضيض . و مآله أنه كناية عن انهزامهم ، لأنّ شأن المنهزم كونه في حضيض ، وهذا محل الاستشهاد . نقل عن السيوطي أنه قال : و الذي رأيت في نسخة قديمة من ديوانه : " فهل رأونا " ، فلا استشهاد و قال السيرافي : الرواية الصحيحة " أم هل " ، و أم منقطعة بمعنى " بل " فلا استشهاد أيضا، فضلا عن الدلالة كما قاله الزمخشري ومن تبعه . و عدل عنه المصنف و لم يقل بدليل قوله " هل رأونا " الخ، لاحتمال أنه جمع بينهما للتوكيد، فظهر ضعف قوله لأن الحرف لا يدخل على مثله¹ .

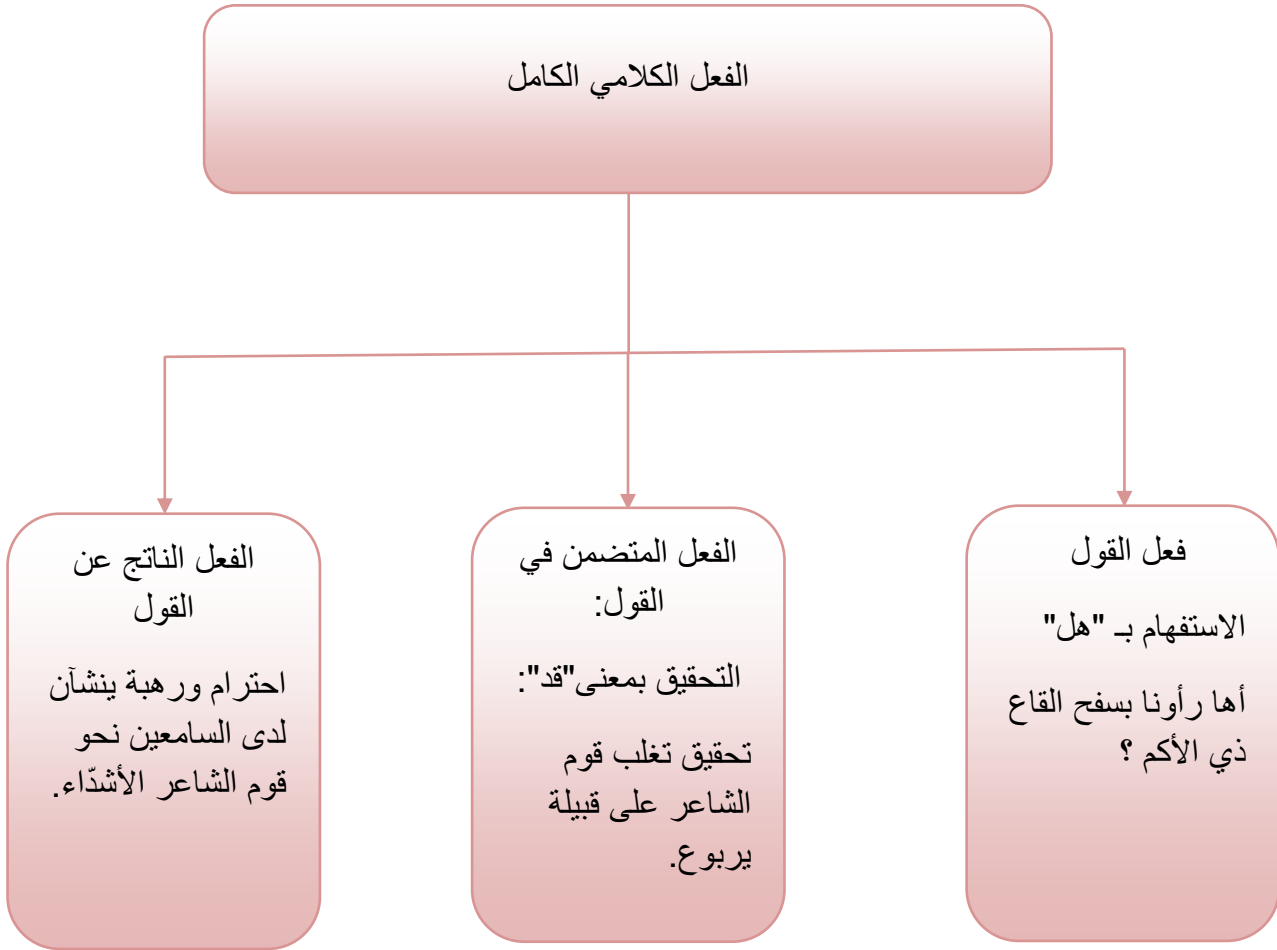
لكنّ الزمخشري قال في المفصل : " هل " في قولهم " أهل " بمعنى " قد " إلا أنهم تركوا الألف قبلها لأنها لاتقع إلا في الاستفهام .

فحينئذ لا يكون من دخول حرف على مثله، بل دخول الاستفهام على " قد " و لا ضير فيه أصلا² .

¹ - ينظر: القنوي، حاشية القنوي على تفسير البيضاوي، ج19، ص468.

² - ينظر المصدر نفسه، ص468.

ومنع دخول الحرف على مثله يجعل من " قد " معنى ضروريا لـ " هل " و
يجعل من التحقيق قوة إنجازية ضرورية للاستفهام يشكل لدينا فعلا كلاميا
كاملا يكون كالتالي:



3 . التوكيد بمعنى " إنَّ " :

من القوى الإنجازية لحرف الاستفهام "هل" قوة التوكيد و التي ذكرها المرادي
بقوله : " أن تكون بمعنى " إنَّ " . زغم بعضهم أنّ " هل " في قوله تعالى :

{ هل في ذلك قسم لذي حجر } [الفجر 05] بمعنى " إنَّ " و لذلك يُتلقَى بها القسم كما يتلقى بـ " إنَّ " ، و هو قول ضعيف¹.

و مع أنه قول ضعيف عند المرادي إلا أنه وارد ، فقد جاء في تفسير الجامع للقرطبي ما يقوّي ذلك، و هو قوله : " و قال مقاتل : " هل " هنا في موضع " إنَّ " تقديره : إنَّ في ذلك قسما لذي حجر . فـ " هل " على هذا في موضع جواب القسم ، و هو القسم الذي استُفتحت به السورة : { و الفجر و ليال عشر و الشفع و الوتر و الليل إذا يسر } .²

وجاء كذلك في حاشية القونوي قول ابن المجيد :

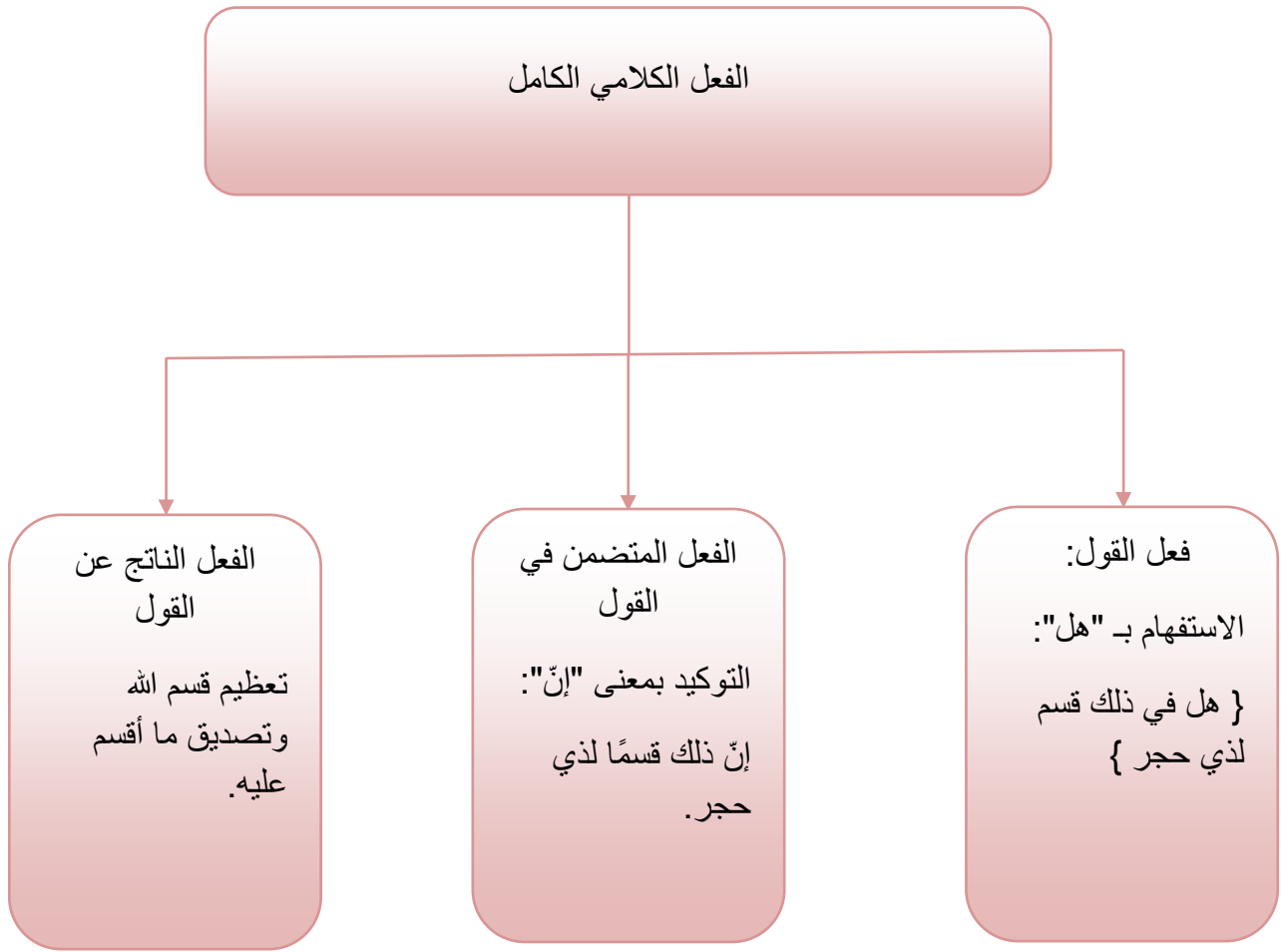
"دلّ الاستفهام على التأكيد ، كمن ذكر حجة بالغة ثمّ قال هل فيما ذكرته حجة"³.

ويتشكّل الفعل الكلامي لدينا على التفريع التالي:

¹ - المرادي، الجنى الداني، 345.

² - القرطبي، الجامع، ج22، ص263.

³ - القونوي ، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، ج20، ص251.



4 . التقرير و الإثبات :

قال المرادي : " ذكره بعضهم في قوله تعالى (هل في ذلك قسم لذي حجر)
{ الفجر 05 } وفي قوله تعالى : (هل أتى على الانسان)".¹

فيكون الفعل المتضمن في القول عندنا هو التقرير و الإثبات كما ذكر بعض النحويين و المفسرين .

¹ - المرادي، الجنى الداني، ص345.

5 . الأمر :

وهو قوّة إنجازية كذلك لحرف الاستفهام " هل " ومثال ذلك - كما ذكر المرادي - قوله تعالى: (**فهل أنتم منتهون**) { المائدة 91 } ، و المعنى : انتهوا . أي : انتهوا عن الخمر و الميسر لأنّ فيهما عداوة بينكم وصداً عن ذكر الله و الصلاة

قال العلامة الطاهر بن عاشور : " قوله (**فهل أنتم منتهون**) الفاء تفرّيع عن قوله (**إنما يريد الشيطان**) الآية . فإنّ ما ظهر من مفسد الخمر و الميسر كاف عن انتهاء الناس عنهما فلم يبق حاجة لإعادة نهيهم عنهما . و لكن يستغنى عن ذلك باستفهامهم عن مبلغ أثر هذا البيان في نفوسهم ترفيعاً بهم إلى مقام الفطين الخبير ، و لو كان بعد هذا البيان نهاهم عن تعاطيها لكان قد أنزلهم منزلة الغبي ، ففي هذا الاستفهام من بديع لطف الخطاب ما بلغ به حدّ الإعجاز.¹"

وهذا اللطف و البداعة في الخطاب هو ما يحصل لدى السامعين من الفهم المتضمن في القول، و الذي يقتضي الأمر بالترك، و هو قوّةنا الإنجازية المنشودة في هذا العمل .

ثم يقول : " و لذلك اختير الاستفهام بـ " هل " التي أصل معناها " قد " و كثر وقوعها في حيز همزة الاستفهام ، فاستغنوا " بهل " عن ذكر الهمزة فهي

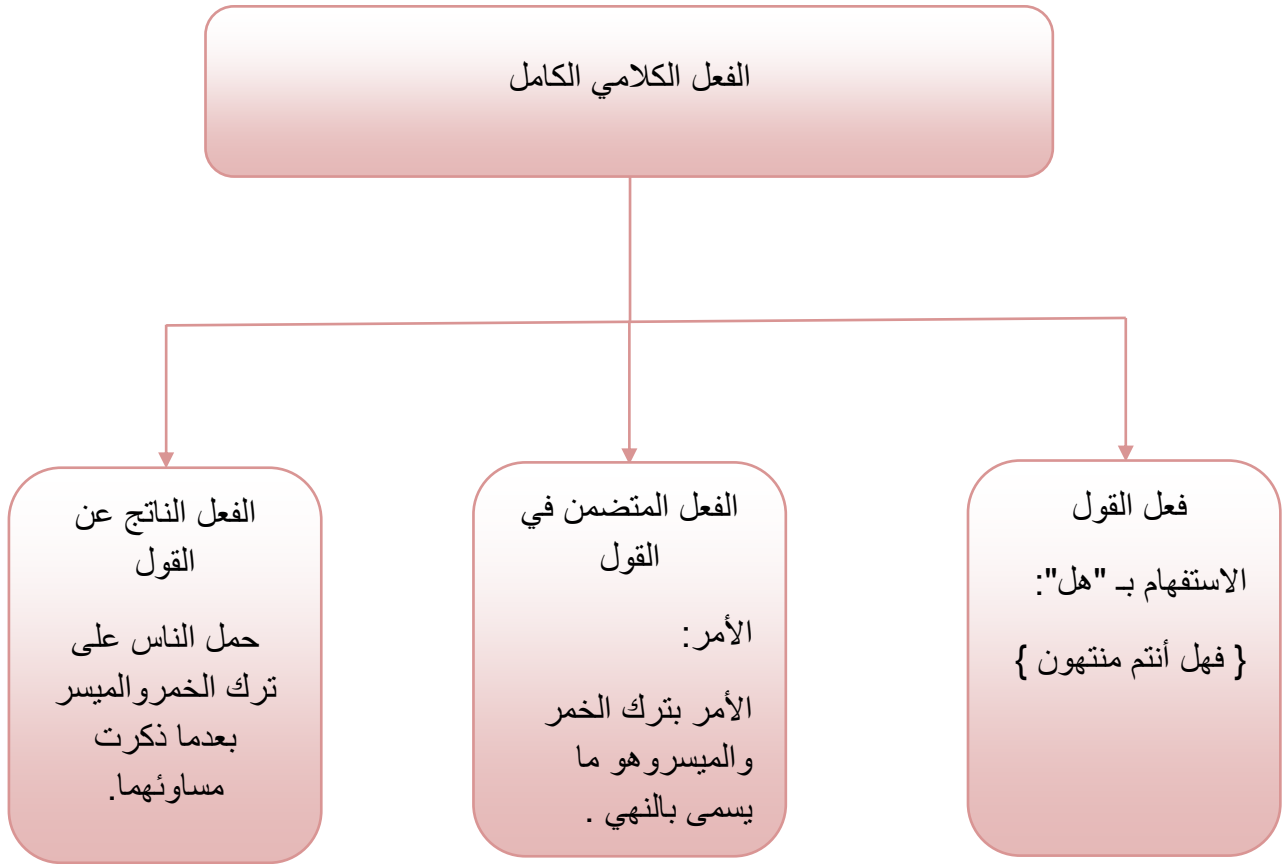
¹ - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج7، ص28.

لاستفهام مضمّن تحقيق الإسناد المستفهم عنه وهو : (أنتم منتهون) دون الهمزة ، إذ لم يقل : "أنتهون" بخلاف مقام قوله: (و جعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون) ، و جعلت الجملة بعد " هل " اسمية لدالاتها على ثبات الخبر زيادة في تحقيق حصول المستفهم عنه ، فالاستفهام هنا مستعمل في حقيقته ، و أريد معها معناه الكنائي ، وهو التحذير من انتقاء وقوع المستفهم عنه ، و لذلك روي أن عمر لما سمع الآية قال : (انتهينا ، انتهينا) . ومن المعلوم للسامعين من أهل البلاغة أنّ الاستفهام في مثل هذا المقام ليس مجرداً عن الكناية.¹

نعم هذا الاستفهام لن يكون مجرداً عن الكناية ، لأن الله تعالى بعدما ذكر خبائث الخمر و الميسر لا يمكن أن يسأل الناس عن فعل ذلك أو عدم فعله بل يريد سبحانه الأمر التام بترك هذه الخبائث، و هذه الكناية المستعملة هنا هي ما نسميه المعنى غير المباشر أو الفعل المتضمن في القول .

و من هنا يحصل لدينا فعل كلامي كامل هو :

¹ - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج7، ص28.



و يمكن أن نستفيد من قول الشيخ الطاهر بن عاشور قوة إنجازية أخرى و هي : الترفيع ، و الذي هو الاستغناء بالاستفهام عن النهي المباشر ترفيعا للعرب الفصحاء إلى مقام الفطن الخبير عن مقام الغبي البليد.¹

¹ - ينظر : الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج7، ص28.

القوى الإنجازية في الحرف " لعلّ ":

جاء في لسان العرب: " لعلّ كلمة شك ن و أصلها "علّ" ، و اللام في أولها زائدة.

قال مجنون بن عامر :

يقول أناس علّ مجنون عامر

يروم سلّوا ، قلت : إنّي لِمَا بِيَا

وأنشد ابن برّي لنافع بن سعد الغنوي :

ولست بلّوام على الأمر بعدما

يفوت ، و لكنّ علّ أن أتقدّما

ويقال : لعلّي أفعل ، و لعلّني أفعل بمعنى ، و قد تكرر في الحديث ذكر لعلّ ، و هي كلمة رجاء و طمع و شك ، و قد جاءت في القرآن بمعنى " كي " . وفي حديث حاطب : ((و ما يدريك لعلّ الله قد اطّلع على أهل بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)) . قال ابن الأثير : ظنّ بعضهم أنّ معنى " لعلّ " ههنا من جهة الظنّ و الحسبان ، قال : و ليس كذلك . و إنما هي بمعنى " عسى " ، و " عسى و لعلّ " من الله تحقيق¹.

و في مغني اللبيب : " لعلّ " حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر قال بعض أصحاب الفراء: وقد ينصبها ، و زعم يونس أنّ ذلك لغة لبعض العرب و حكى : (لعلّ أباك منطلقا) و تأويله عندنا على إضمار " يوجد " ، و عند الكسائي على إضمار " يكون " .

وقد مرّ أنّ عقيلًا يخفضون بها المبتدأ كقوله :

... لعلّ أبي المغوارٍ منك قريب .

¹ - ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر ، بيروت، بدون سنة، ج11، ص607،

الفصل الثاني

وزعم الفارسي أنه لا دليل في ذلك لأنه يحتتمل أن الأصل : (لعله لأبي المغوار منك جواب قريب) فحذف موصوف "قريب" و ضمير الشأن .

و لم يثبت تحقيق " لعلّ " ، و تتصل " بلعلّ " " ما " الحرفية فتكفها عن العمل و لها عشر لغات مشهورة.¹

وهذه اللغات هي:

" لعلّ، وعلّ، ولعلّ، وعنّ، ولأنّ، ولأنّ، ورعلّ، ورعنّ، ولغنّ، وورغنّ، وورغنّ، وهذه الثلاثة بالغين المعجمة، ولعلّت، بتاء التانيث، واختلف في العين المعجمة، في تلك اللغات الثلاث، فقيل هي بدل من المهملة، وقيل ليست بدلا منها.

قال صاحب رصف المباني: وهو أظهر لقلة وجود الغين بدلا من العين ، ولذلك جعل "غنّ" بالمعجمة حرفا مفردا بباب.²

و قال المرادي : " لعلّ " حرف له قسمان :

الأول : أن يكون من أخوات " إنّ " فينصب الاسم ويرفع الخبر، و مذهب أكثر النحويين أنه حرف بسيط ، و أنّ لامة الأولى أصلية . و قيل هو حرف مركّب ، و لامة الأولى "لام الابتداء" . و قيل : بل هي زائدة لمجرّد التوكيد بدليل قولهم " علّ " في "لعلّ" و هذا مذهب المبرّد وجماعة من البصريين و " لعل " لها ثمانية³ معانٍ :

وهذه المعاني هي قوى إنجازية و أفعال كلامية متضمنة في القول وهي :

1 - قوة الترجّي:

و الترجّي "من الرجاء و هو من الأمل نقيض اليأس ، رجاء يرجوه رجواً ، ورجيّه وارتجاه و ترجّاه بمعنى .

¹ - ينظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، تحقيق: مازن المبارك ومحمدعلي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط1، 1963، ج1، ص317 و 318.

² - المرادي، الجنى الداني، ص572.

³ - لكنّه لم يذكر إلا خمسة معاني.

و التّرجي من أساليب الإنشاء . وقد فرّقوا بينه وبين التّمنيّ بأنّه في الممكن و التّمنيّ فيه وفي المستحيل ، و بأنّ التّرجي في القريب و التّمني في البعيد و بأنّ التّرجي في المتوقّع و التّمنيّ في غيره ، و بأنّ التّمني في المعشوق للنفس و التّرجي لغيره.¹

وقوة التّرجي في " لعلّ " هي الأشهر و الأكثر، نحو: لعلّ الله يرحمنا² فالرحمة من الله تعالى ممكنة و قريبة و لذلك تعين في هذاالمثال قوة التّرجي دون غيرها .

2 - قوّة الإشفاق :

"والإشفاق نحو : لعلّ العدوّ يقُدّم ، و الفرق بينهما أنّ التّرجي في المحبوب و الإشفاق في المكروه" .³

وفي لسان العرب : " الشفق و الشفقة ، الاسم من الإشفاق ، و الشفق : الخيفة ، شفق شفقاً فهو شفق و الجمع شفقون ، قال الشاعر إسحاق بن خلف - وقيل هو لابن المعلّى - :

تهوى حياتي و أهوى موتها شفقا

و الموت أكرم نزال على الحرّم

وأشفقت عليه و أنا مشفق و شفيق، و إذا قلت أشفقت منه فإنما تعني حذرته ، و أصلهما واحد و لا يقال : شَفَقْتُ . قال ابن درير : شفقت و أشفقتُ بمعنى ، و أنكره أهل اللغة . الليث : الشفق : الخوف ، تقول أنا مشفق عليه أي أخاف ، و الشفق أيضا : الشفقة و هو أن يكون الناصح من بلوغ النصح خائفا على المنصوح . تقول : أشفقت عليه أن يناله مكروه .

¹ - أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص123.

² - ينظر المرادي، الجني الداني، ص579.

³ - المصدر نفسه، ص 580.

ابن سيده : و أشفق عليه حذر ، و أشفق منه : جزع ، و شفق لغة . و قوله تعالى : { إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين } أي كنا في أهلنا خائفين لهذا اليوم .¹

3 - قوة التعليل :

قال المرادي " هذا معنى أثبتته الكسائي و الأخفش ، و حملا على ذلك ما في القرآن من نحو : { لعلمك تشكرون } [البقرة 52] { لعلمك تهتدون } [البقرة 53] ، أي : لتشكروا ، و لتتهتدوا . قال الأخفش في المعاني : { لعله يتذكر } [طه 44] نحو قول الرجل لصاحبه : افرغ لعلنا نتغذى ، و المعنى لتتغذى ."²

وفي لسان العرب : " لعلّ " لها مواضع في كلام العرب ، من ذلك قوله تعالى : { لعلمك تذكرون } و { لعلمك تتقون } و { لعله يتذكر } قال : معناه كي تتذكروا كي تتقوا ، كقولك : ابعث إليّ بدابتك لعلّي أركبها ، بمعنى كي أركبها ، و تقول انطلق بنا لعلنا نتحدث أي كي نتحدث ، قال ابن الأنباري : لعلّ تكون ترجيا ، و تكون بمعنى " كي " على رأي الكوفيين ، و ينشدون :
فأبلوني بليتكم لعلّي

أصالحكم و أستدرج نويّا "³

وقال الطاهر بن عاشور : { لعلمك تشكرون } رجاء لحصول شكركم و عدل عن لام التعليل إيحاء إلى أنّ شكرهم مع ذلك أمر يتطرقه احتمال التخلف ، فذكر حرف الرجاء دون حرف التعليل من بديع البلاغة ، فتفسير " لعلّ " بمعنى " لكي " يفيد هذه الخصوصية ."⁴

فالطاهر بن عاشور يرى أنّ قوة الرجاء في " لعلّ " أنسب من قوة التعليل في هذا المقام ، لأنّ شكر العباد محتمل غير ثابت خاصة عند بني إسرائيل الذين وقع منهم الكفر كثيرا دون الشكر .

¹ - ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج10 ، ص179 و 180 .

² - المرادي ، الجنى الداني ، 580 .

³ - ابن منظور ، لسان العرب ، ج11 ، ص173 و 174 .

⁴ - طاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير ج1 ، ص501 .

4 - قوة الاستفهام :

"وهو معنى قال به الكوفيون ، و تبعهم ابن مالك ، و جعل منه : { وما يدريك لعله يزكى } [عبس 03] و قول النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الأنصار ، وقد خرج إليه مستعجلاً : ((لعلنا أعجلناك))".¹

وقال ابن هشام عندما ذكر أنّ لـ " لعلّ " معانٍ : " الثالث : الاستفهام ، أثبتته الكوفيون ، و لهذا علّق بها الفعل في نحو . { لا تدري لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً } [الطلاق 01] ونحو: { وما يدريك لعلّه يزكى } [عبس 03]".²

و في كتاب حروف المعاني للزجاجي أنّ لـ " لعلّ " ثلاثة أوجه من بينها الاستفهام، كقولك : لعلّ زيدا يقوم ؟ كما تقول : أتظنّ زيدا يقوم ؟ ، تواجه بذلك من تخاطب.³

وذكر ابن فارس أنّ " لعلّ " تكون استفهاماً وشكاً و تكون بمعنى " خليق " و أهل البصرة يقولون " لعلّ " ترجح، و بعضهم يقول توقع.⁴

و الحاصل أن قوة الاستفهام في الحرف " لعلّ " قوة ثابتة و إن رفضها كثير من اللغويين ، ثم إن هذا التعدد في القوى الإنجازية للحرف " لعلّ " يدلّ على مدى تأثيره في الكون من خلال الأفعال التي يحدثها فيه.

5 - قوة الشك :

" نقل النحاس عن الفراء ، و الطّوال ، أنّ " لعلّ " شك " .⁵

ولعلّ أنّ الشك هو الفعل المباشر، وهو فعل القول في الحرف " لعلّ " و باقي المعاني أفعال غير مباشرة، وهي القوى المتضمنة في القول ، وما يؤيد

¹ - المرادي ، الجنى الداني، ص580.

² - ابن هشام، مغني اللبيب، ج1، ص319.

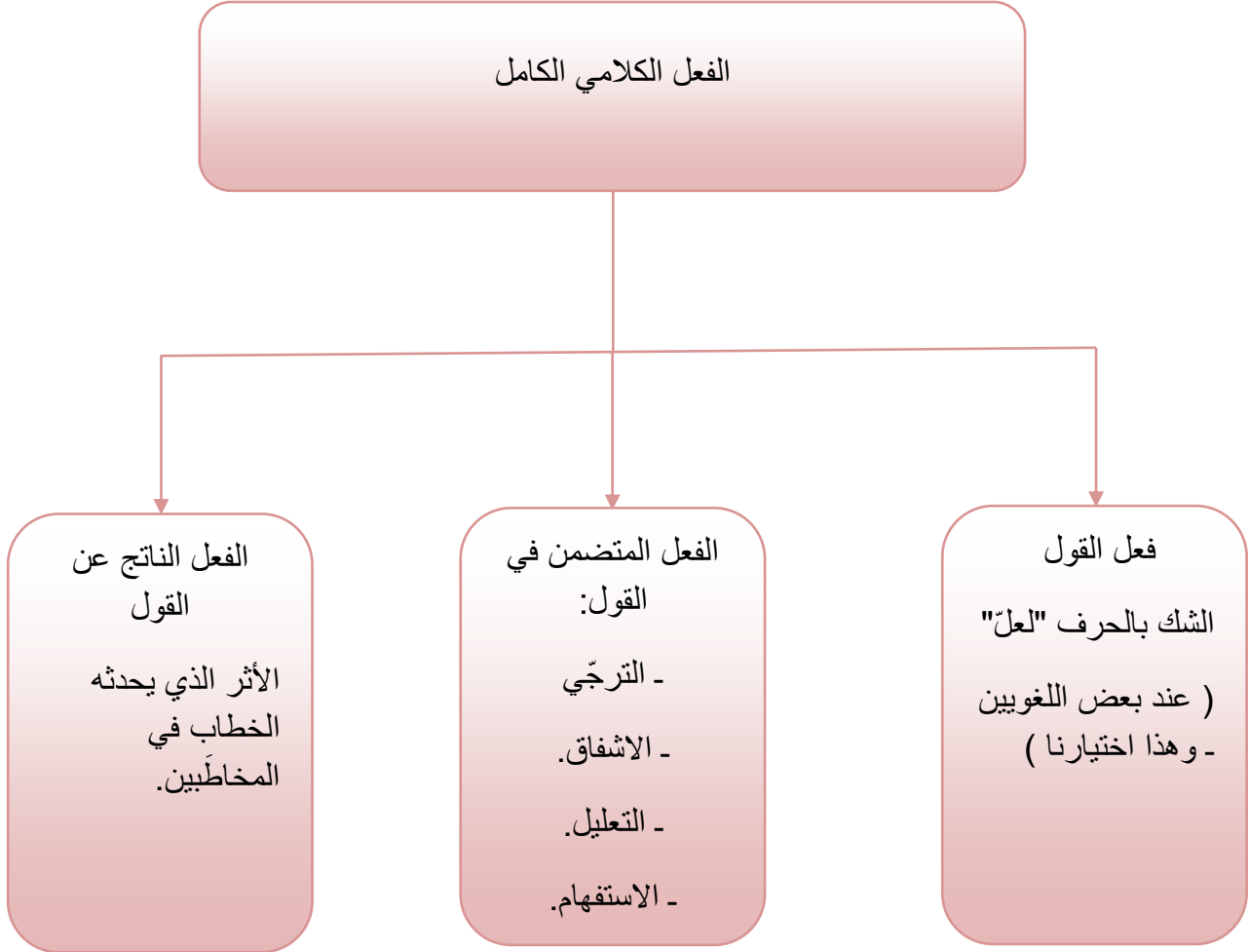
³ - ينظر: الزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق، كتاب حروف المعاني، تحقيق : علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، الأردن، ط2، 1986، ص30.

⁴ - ينظر: أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها و سنن العرب في كلامها، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1997، ص123.

⁵ - المرادي، الجنى الداني، ص580.

ذلك قول ابن منظور في لسان العرب : " لعلّ كلمة شكّ¹ ثم تتفرع باقي المعاني والأفعال المتضمنة في القول على حسب المقصد و المقام .

ويمكن تلخيص الفعل الكلامي الكامل للحرف "لعلّ" كالتالي:



¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص607.

الغائبة

الخاتمة :

وفي ختام بحثنا هذا لا يسعنا إلا أن نقول و بكل ثقة أن ما تحاول نظرية أفعال الكلام الوصول إليه هو عين ما وصل إليه علماء العربية قديما، متمثلا في الغرض البلاغي من الخبر والإنشاء.

نعم اختلفت الوسائل واختلف المنهج لكن النتيجة واحدة ، لأن جوهر هذه النظرية هو الأفعال المتضمنة في القول، وهذه الأفعال غير المباشرة والتي تحمل معها قوى إنجازية تؤثر في الكون وفي العالم الخارج عنها هي نفس ما قصد إليه القدماء من خلال استعمالهم لكلمة "إنشاء" حيث لاحظوا أن الكلام ينشئ حدثا وهذا الحدث أثر أحدثه المتكلم في الكون وفي العالم الخارج عنه ، ثم إن علماء العربية القدماء قد فرقوا بين القول المباشر وبين المعنى غير المباشر الكامن في هذا القول وهو ما سموه " بالعرض" ، فالاستفهام - مثلا إنشاء يحدث في الظاهر جوابا لكنه قد يحدث غير ذلك - كالإنكار والاستبطاء - من خلال اعتبار ما سماه العلماء قديما الحال والمقام .

وقد يظهر للدارس أن هذه النظرية الحديثة أكثر دقة وشمولا، لكننا حين ننظر في النتائج لن نجد لها إلا نتائج واحدة ، ثم إننا لو طبقنا هذه النظرية الحديثة على النصوص لن نتوصل لشيء جديد ، وحينها يمكننا أن نصدر الحكم على هذه النظرية ، وهو أنها نظرية حديثة - قديمة ، حديثة في الزمن والمصطلح قديمة في الجدوى والأثر .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

- أحمد بن فارس، الصاحبى فى فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب فى كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1977.

- أحمد جميل شامى، معجم حروف المعانى، مؤسسة عز الدين ، بيروت، ط 1، 1992

- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2006م، ط1، ج 2

- إميل بديع يعقوب، موسوعة علوم اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2006م، ج2.

- الإمام القشيري، لطائف الإشارات، تحقيق إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000م، ط3، ج3

- ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحرير، تحقيق حنفي محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، دسنة-

- أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، د ط، 1991.

- جار الله الزمخشري، تفسير الكشاف، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2009م

- جلال الدين السيوطي ، الأشباه والنظائر فى النحو، تح: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1975، ج 2

- جلال الدين السيوطي، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2011م، د.ط،

- الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992

- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، 2010، ج10

- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، لبنان، د سنة، باب الهاء والكاف والميم، ج3

- دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، دار العربية للعلوم، بيروت، 2008م

- سبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، ط3، 1988، الخانجي القاهرة

- ابن اسحاق الزجاجي، حروف المعاني، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، ط 1986، 2

- سمير الخوري الشرتوني، أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، منشورات آية الله العظمى قم، إيران، مادة أنكر.

- السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق شاکر هادي شكر، مكتبة العرفان، كربلاء، العراق، 1968م، ط1، ج2

- السيد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي هلال، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 2001م، ط1، ج34،

- الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق محمد صادق المنشاوي، دار الفضل، القاهرة

- صاحب بن عبّاد، المحيط في اللّغة، تحقيق الشيخ محمد آل ياسين

- طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1994

- أبو العباس محمد يزيد المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة ، ط2، 1979، ج1

- عبد العليم السيّد فوده، أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، دار الشعب، القاهرة، 1953م
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة مصر، 1989م، د.ط.
- عصام الدين إسماعيل بن محمد، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ج3
- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط1، 2001
- ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ج2
- أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تح: بحسن الهنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1985
- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرتوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005
- أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن مبارك، دار النفائس، بيروت ط3، 1977
- كارتين أوركيني، فعل القول من الذاتية في اللغة، ترجمة محمد نطيق، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط، 2007،
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق أبو اسحاق الجويني، دار الجوزي، الدمام السعودية، ج1
- محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1996
- محمد غاليم، النظرية السانية والدلالة العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2007

- محمد ابن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض رقم (2419)

- محمد ابراهيم عبادة ، معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مكتبة الآداب القاهرة، ط2011، 1

- محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ط2، 1980، ج7.

- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج28.

- محمد بن أحمد أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2006م، ط1، ج1.

- محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985

- محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002

- محمود سعيد، حروف المعاني بين دقائق اللغة ولطائف الفعل، كلية الآداب بنها بدون

- المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد ندين فاضل، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1 ، 1992

- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير، ط الطبعة الأولى ، 2008 م .

- المنتجب الهداني، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، تحقيق محمد نظام الدين فتيح ، دار الزمان ، المدينة المنورة، ط2006، 1 ، ج2

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد 11 ، ط 3، 1994 م، مادة حلل.

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج3، فصل الفاء، مادة ح ر ف.

- ناصر ابراهيم، فلسفات التربية، دار وائل، عمان، ط 2 ، 2004.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

- الاهداء
- شكر وعران
- المقدمة 01
- الفصل الأول : الفلسفة التحليلية والفكر التداولي 05
- الفلسفة التحليلية 06
- اتجاهات الفلسفة التحليلية 07
- 1 . الوضعية المنطقية 07
- 2 . الظاهرانية اللغوية 07
- 3 . فلسفة اللغة العادية 07
- جهود أوستين وسيرل 08
- شروط الملائمة عند أوستين 09
- الفعل الكلامي عند أوستين 11
- فعل القول 12
- الفعل المتضمن في القول 12
- الفعل الناتج عن القول 13
- تقسيم أوستين للأفعال الكلامية : 13
- (الحكميات . التنفيذيات . الوعديات . السلوكيات . العرضيات)
- خصائص الفعل الكلامي عند أوستين 15
- أفعال الكلام عند أوستين 15
- أفعال الكلام عند سيرل 15
- الأفعال الكلامية عند النحاة العرب 19
- حروف المعاني : 20

- معنى الحرف وعلة تسميته حرفا..... 20
- أولا : معنى الحرف..... 20
- ثانيا : علة تسميته حرفا 22
- الفرق بين حروف المعاني وحروف المباني 23
- عدّة حروف المعاني 29
- أقسام حروف المعاني 30
- زيادة حروف المعاني و حذفها..... 31
- مصنّفات في حروف المعاني. 37
- الفصل الثاني : القوى الإنجازية في حروف المعاني في كتاب الجنى الداني:**
- القوى الإنجازية في " الهمزة": 46
- . التسوية . التقرير . التوبيخ . التحقيق . التذكير . التهديد . التنبيه .
. التعجب . الاستبطاء . الإنكار . التهكم .
- القوى الإنجازية في " لو " 66
- . التمني . التقليل .
- القوى الإنجازية في " لا " النافية : 72
- . الدّعاء . التحضيض . التوبيخ .
- القوى الإنجازية في " لا " الناهية :..... 77
- . الدّعاء .
- القوى الإنجازية في " من " الزائدة :..... 79
- . التوكيد .
- القوى اللإنجازية في " ما" الزائدة 85
- القوى الإنجازية في " هل " 90
- . النفي . التحقيق . التوكيد . التقرير والإثبات . الأمر .

فهرس المحتويات

- 104 القوى الإنجازية في " لعلّ " .
. الترّجّي . الإشفاق . التعليل . الاستفهام . الشكّ .
- 112 الخاتمة
- 114 المصادر والمراجع
- 119 فهرس المحتويات
- الملخص
- ترجمة الملخص بالفرنسية
- ترجمة الملخص بالإنجليزية

المخلص:

تشتمل اللغة العربية على أدوات دالة على معانٍ ، أي على قوى إنجازية مختلفة بتعبير اللسانيات التداولية، وهذه الأدوات هي ما سماه علماء العربية قديما بحروف المعاني، وهي التي تثري اللغة العربية بأساليب كثيرة متنوعة صالحة لمقامات تواصلية متباينة حسب إرادة المتكلم وقصده.

أما المعاني و الإفادات التي تستفاد من تلك الحروف فهي تمثل بصدق ودقة نظرية الأفعال الكلامية كما يتصورها الفكر المعاصر، ولذلك صحّ أن تعد تلك المعاني والإفادات والمقاصد أفعالا كلامية باعتبارنا نتعاطاها عبر الرؤية التداولية، ومن ثمّ فهي ليست مجرد دلالات ومضامين لغوية، وإنما هي فوق ذلك أفعال كلامية ترمي إلى صناعة أفعال و مواقف اجتماعية أو ذاتية بالكلمات، أي ترمي إلى التأثير في المخاطب بحمله على فعل أو ترك، أو دعوته إلى ذلك، أو تقرير حكم من الأحكام، أو تأكيده، أو التشكيك فيه، أو نفيه، أو وعد المتكلم للمخاطب أو وعيده... وهي معانٍ كثيرة لا يمكن أن تحصى أو تحصر جميعا كما ذكر علماءنا القدامى.

وقد حاولنا في هذا البحث الاستفاضة في هذا الموضوع وبسط القول فيه نظريا وتطبيقيا واخترنا كمدونة للتطبيق كتاب **الجنى الداني** للمرادي للحسن بن قاسم.

الكلمات المفتاحية:

– التداولية - القوة الإنجازية - حروف المعاني - الجنى الداني.

Résumé :

La langue arabe englobe des outils ayant des sens, c'est-à-dire forces réalisatrices différentes selon la linguistique pragmatique . ces outils ont été appelés autrefois par les avants de l'arabe « les lettres de significations ; ce sont eux qui enrichissent la langue arabe par divers styles utiles à des situations de communication distinctes selon la volonté du locuteur et son intention.

Pour ce qui est des significations et des visées de ces lettres , celles-ci représentent fidèlement , et d'une manière précise , la théorie des verbes performatif comme les conçoit la pensée contemporaine . c'est pour cela ces significations ces visées et ces intentions sont considérées des actes performatifs car nous les étudions selon une vision pragmatique de ce fait , elles ne sont pas seulement des significations et des contenus linguistiques mais aussi des verbes performatifs qui visent produire des actes et des attitudes sociales ou individuelles par le biais des mots. C'est-à-dire qu'elles visent à exercer un effet sur le récepteur en l'incitant à faire ou à laisser quelque chose , ou en l'y invitant , ou à porter un Jugement en le confirmant ou en l'infirmant ou à donner une promesse à l'allocutaire ou à le menace. il y a en effet plusieurs signification qu'on ne peut citer ,ni compter selon nos anciens savants .

Dans ce travail , nous avons essayé de mener une recherche aussi exhaustive que possible sur ce sujet tant sur le plan théorique que pratique. Nous avons choisi comme corjns d'application le livre de (EL JANA EDDANI) d' ELMOURADI EL MACEN BEN KACEM.

Les mots clés : pragmatisme – efforces réalisatrices – lettres de signification. EL JANA Eddani.

Summary:

The Arabic language includes tools indicative of meanings, that is, of different achievement powers in the expression of deliberative linguistics, and these tools are what the Arabic scholars called in ancient times the letters of meanings, and they are the ones that enrich the Arabic language in many different ways suitable for different communicative positions according to the will and intent of the speaker.

As for the meanings and statements that benefit from these letters, they represent honestly and accurately the theory of verbal actions as conceived by contemporary thought, and therefore it is correct that these meanings, statements and intentions be considered verbal actions as we consider them to be used through a deliberative view, and then they are not just semantics but rather supranational implications.

This is verbal actions aimed at making social or personal actions and attitudes with words, that is, it aims to influence the offender by compelling him to act or leave, or his call to do so, or to report a judgment of judgments, to confirm it, to question it, to deny it, or to promise the speaker.

which are many meanings that cannot be counted or limited to all, as mentioned by our old scholars.

We have tried in this research to elaborate on this topic and to explain it theoretically and practically. And as a blog for the application, we have chosen the book of El Jana Eddani of Al-Muradi by Al-Hassan Bin Qasim

key words:

pragmatic - the fulfillment power - letters of meanings - *EL JANA Eddani*.